العلاقات السياسية للقبائل العربية في بلاد الشام والجزيرة الفراتية مع البيزنطيين في القرنيين الرابع والخامس الهجريين

بني حمدان– بني مرداس

أ.د. طلب صبار محل
م.م. انتصار نصيف شاكر
جامعة تكريت/ كلية الآداب/
قسم التاريخ

مُقَدِّمَة

شهدت بلاد الشام والجزيرة الفراتية في بدايات النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، تنافساً حاداً بين الدولتين العباسية والفاطمية وكانت بلاد الشام هي المجال الحيوي لهذا الصراع،هذا فضلاً عن أطماع بعض أمراء المسلمين في تأسيس أمارات مستقلة لهم في المنطقة، فأمراء القبائل العربية وأتباعهم أخذوا يستولون على المدن والقرى ويضمونها لأمارتهم في الشام والجزيرة ، كما أخذ نفوذ القرامطة يظهر، فراحوا يستولون على المدن.

ولم تكن الخلافة العباسية نفسها في بغداد بحالة يسمح لها ان تضع حداً لمثل هذه التجاوزات بسبب انشغالها بمشكلاتها الاقتصادية والسياسية الأمر الذي انعكس سلباً على سكان المنطقة، فقد انتشر قطاع الطرق وعم الفساد والفوضى وغلت الأسعار في البلاد.

ومما زاد الأمر سوءا تنامي طمع أباطرة بيزنطة وقادتهم في المنطقة، حيث أصبح همهم الوحيد هو تولي قيادة جيوش بيزنطة، وقصد مناطق الثغور الجزرية

والشامية، والتوغل في حملاتهم إلى أعماق منطقة بلاد الشام والجزيرة الفراتية، مستغلين فرصة غياب القوات الإسلامية عن المنطقة، وأنشغال أمراء المسلمين وقادتهم بعضهم ببعض.

وكانت حملات الإمبراطور نقفور (352-358هـ / 963-969م)، من أشد تلك الحملات ضرورة على أراضي المسلمين إذ كان همه، قصد بلاد الشام والجزيرة الفراتية والاستيلاء عليها، ((وتم له ما أراد باشتغال ملوك الإسلام بعضهم ببعض))، فكان ((يقصد سواد البلاد فينهبه ويخربه فيضعف البلاد فيملكها))، فاستولى على الثغور الجزرية والشامية، وسبى وأسر ما لا يحصر من سكانها حتى خشيه المسلمون، ولم يشكوا في أنه سائر إلى ملك الشام والجزيرة ومصر وديار بكر.

ويبدو أن النتائج التي حققتها حملات نقفور في الشرق، دفعت أباطرة بيزنطة وقادتها كي ينهجوا سياسة الفتوحات في بلاد الشام والجزيرة الفراتية بهدف استعادة أمجاد الإمبراطورية البيزنطية في الشرق، مستغلين ((تقصير أهل ذلك الزمان، وظهور البدع الشنيعة فيهم وكثرة العصيان ...، فلهذا أديل عليهم أعداء الإسلام فانتزعوا ما بأيديهم من البلاد مع الخوف الشديد ونكد العيش والفرار من البلاد إلى بلاد، فلا يبيتون ليلة ألا في خوف من قوارع الأعداء وطوارق الشرور المترادفة)) .

- موقف بني حمدان من البيزنطيين :

منذ ان حكم الحمدانيون الموصل والجزيرة سنة (293هـ/ 905م)، وقع على عاتقهم عبء الدفاع عن الثغور [١] الإسلامية ومقاومة الخطر البيزنطي، ففي سنة (301هـ/ 913م)، أستغل الحمدانيون النزاع بين الإمبراطور البيزنطي وملك البلغار، فهاجموا الأراضي البيزنطية بقيادة الحسين بن حمدان، الذي غزا حصوناً كثيرة من ملطية حتى طرطوس[٢] .

وفي المدة المحصورة بين (314-319هـ / 927-931م) نقض الروم الاتفاقية التي كانت بينهم وبين العباسيين، مستغلين المشكلات التي كانت تواجه الدولة العباسية، فاخذوا ملطية وسمياط وأشباههما، ومع ذلك استمرت مقاومة المسلمين في ملطية [٣] ، واستنجدوا بسعيد بن حمدان ، الذي كان الخليفة المقتدر قد ولاه الموصل وديار ربيعة ، فسارع الى نجدتهم سنة(319هـ/931م)، ولما احس الروم باقتراب سعيد بن حمدان ، هربوا منها، فدخلها سعيد وعين أميراً عليها[٤] .

ضعف دور الحمدانيين في الموصل لصد هجمات الروم البيزنطيين على الثغور الإسلامية، ليبدأ دورهم من حلب تحت أمرة سيف الدولة وقد أدت هذه الحروب بين المسلمين والروم إلى توسيع رقعة الإمبراطورية البيزنطية على حساب الدولة العباسية، التي أنهمكت في صراعاتها الداخلية وتسلط النفوذ البويهي على السلطة في بغداد [٥] .

وفي سنة(326هـ/ 937م) قام سيف الدولة الحمداني بأولى عملياته الحربية ضد حصن زياد [٦]، إذ حاصرها سبعة أيام وكاد يفتحها، ألا ان كوركواس – القائد البيزنطي الارمني الأصل–[٧] منع سيف الدولة من فتح الحصن، فاضطر الأخير إلى الانسحاب فتبعه البيزنطيون واشتبك الطرفان في موضع بين حصن زياد وسلام، فدارت الدائرة على كوركواس، وانتصر فيها سيف الدولة انتصاراً ساحقاً[٨] .

وعلى الرغم من عدم انتهاء الحرب بين سيف الدولة وكوركراس، كانت تقوم عمليات تبادل الأسرى بين المسلمين والبيزنطيين في الثغور الشامية، وقد وافق الروم على الهدنة في الثغور الشامية لكي يتفرغوا للثغور الجزرية [٩]، وكان القائم بدور الوسيط بين الطرفين أبن ورقاء الشيباني، ويذكر أن عدد من تم فداؤهم من اسارى المسلمين ((ستة آلاف وثلاثمائة من ذكر وأنثى))[١٠] .

وفي سبيل أن يستمر الروم بهجماتهم على الثغور الجزرية، قاموا ببناء حصن هفجيج، وكان الهدف من بنائه لمنع وصول الإمدادات الإسلامية إلى ثغر قاليقيلا، ولتسهيل مهمة الاستيلاء عليه، وعندما سمع سيف الدولة بخطة الروم، سار من نصيبين إلى ثغر قاليقيلا في نهاية عام(327هـ/939م)، فدمر الروم حصن هفجيج، وانسحب سيف الدولة إلى أرزن [*] بسبب سقوط الثلج ، ثم دخل أرمينية وتحالف مع أمرائها، وقاموا بتسليمه بعض الحصون التي كانت تشكل خطراً على الثغور الإسلامية، وتمكن من الوصول الى كولونيا ، فانذر الإمبراطور البيزنطي سيف الدولة، وجمع جيشاً كبيراً، ألا انه هزم أمام جيش سيف الدولة[١١].

بعد هذا الانتصار جهز سيف الدولة حملة كبيرة لمهاجمة الأراضي البيزنطية بعد أن أذن له الخليفة(المطيع) بذلك [١٢]، وتكمن أهمية تلك الحملة في أنها أول عمل هجومي قام به سيف الدولة منذ أستيلائه على حلب، وبدأ سيف الدولة مسيره سنة 339هـ /950م، وأشترك معه حوالي أربعة آلاف رجل من قوات طرسوس [١٣]، كما رافقه كبار الشعراء في بلاطه وعلى رأسهم (المتنبي)(وأبو فراس) (وأبو زهير مهلهل بن نصر)، ودخل سيف الدولة الأراضي البيزنطية عن طريق شمال أو شرق مرعش اذ استولى في طريقه على حصن العيون وحصن الصفصاف وهما يقعان على طريق ملطية– قيسارية عن طريق سمندو[١٤]، وعند ((بطن اللقان)) أوقع سيف الدولة

هزيمة منكرة بالدمستق، برداس فوقاس، وقتل عدداً كبيراً من قواته وأسر عدداً آخر من بطارقته(١٥) .

أدرك البيزنطيون عقب هذه الخسارة صعوبة مواجهة سيف الدولة في الساحات المكشوفة فلجأوا الى الكمائن وأختبأوا في أحد الدروب التي كان على سيف الدولة أن يعبرها في طريق العودة (١٦)، وبعد أن سمحوا لمقدمته بالمرور قطعوا عليه الطريق، فسدوا الدرب بالأشجار والصخور ، في نفس الوقت هاجمت القوات البيزنطية من الخلف، وإزاء هذا الموقف قتل سيف الدولة الاسرى البيزنطيين الذين معه وعددهم أربعمائة أسير واستمات في القتال حتى نجا مع عدد يسير من قواته بعد ان قتل البيزنطيون اكثر جيشه، وتعد هذه الهزيمة من اكبر الكوارث التي حلت بالأمارة الحمدانية وبسيف الدولة خاصة حتى سميت بغزوة المصيبة(١٧) .

وبالرغم من خسارة سيف الدولة، فان البيزنطيين طلبوا عقد هدنة ولكن سيف الدولة رفض ذلك، وأسرع بتجهيز جيش لمهاجمة الأراضي البيزنطية من ناحية حران، وغزا أهل طرطوس أيضا من ناحيتهم في البر والبحر، أما سيف الدولة نفسه قد تصدى للبيزنطيين الذين هاجموا آمد(١٨) .

وقد توقف سيف الدولة عن مهاجمة البيزنطيين سنة(339هـ / 950م)، نتيجة حلول فصل الشتاء ونزول الثلج، كما قام بإعادة بناء وترميم ما تبقى من الحصون والثغور الإسلامية لكي تتمكن من صد الهجمات البيزنطية، ومن تلك الحصون رعبان(*) التي خربتها الزلازل عام(340هـ / 951م)، فأنفذ سيف الدولة اليها ابن عمه (أبا فراس) الحمداني سنة(341هـ/951م) في فرقة من الجيش فتمكن أبو فراس من عمارتها في سبعة وثلاثين يوماً على الرغم من تدخل البيزنطيين بقيادة قنسطنطين لمنع أعادة بناء الحصن (١٩)، وفي العام نفسه أعاد سيف الدولة بناء ثغر مرعش بعد أن أنزل الهزيمة بالدمستق برداس فوقاس الذي حاول أعاقة عملية البناء(٢٠).

واصل سيف الدولة تعمير وتحصين الثغور الإسلامية، وبعد بناء حصن رعبان وثغر مرعش أراد سيف الدولة بناء ثغر الحدث [*] الذي سبق ان استولى عليه البيزنطيون سنة(337هـ/ 948م)، فوضع سيف الدولة بنفسه حجر الأساس، وحاول البيزنطيون منعه من اعادة بنائه ، فهاجمه الدمستق على رأس جيش كبير من خمسين ألف رجل من الأرمن والروس والبلغار والسلاف والخزر، ونشبت المعركة بين الجانبين على جبل يشرف على الحدث يعرف باسم الاحيدب [٢١]، وبالرغم من قلة جيش سيف الدولة ألا انه تمكن من قتل عدد كبير من رجال الدمستق وأسر عدد آخر كان من بينهم صهر الدمستق وحفيده، أما نقفور بن برداس فقد اختفى في قناة الحدث في أثناء المعركة فتسلل ليلاً ولحق بأبيه، وأتم سيف الدولة بناء ثغر الحدث ووضع بنفسه آخر لبنة فيه في رجب سنة(343هـ / نوفمبر 954م)[٢٢] .

وقد حاول البيزنطيون عدة محاولات لهدم حصن الحدث، لكن سيف الدولة منعهم من ذلك والحق بالبيزنطيين هزائم فادحة [٢٣]، وكان نتيجة تلك الهزائم تغيير القيادة العسكرية البيزنطية، فعزل برداس فوقاس سنة(344هـ/955م)، وحل محله ابنه نقفور في منصب الدمستق[٢٤]، فبدأت بذلك مرحلة جديدة من العلاقات والحروب بين الجانبين الإسلامي والبيزنطي، خاصة بعد ان ظهر الى جانب نقفور قادة جدد من طراز كوركواس، ويوحنا بن الشمشقيق وليو فوقاس وباسيل ليكابينوس، وكان من نتيجة التغيير في القيادة العسكرية ان عادت الهجمات البيزنطية على قيليقيا والعراق بعد أن كانت محصورة منذ فترة في قطاع الحدث– مرعش[٢٥] .

وتمكن البيزنطيون من هزيمة أبي العشائر الحسين بن علي بن حمدان حاكم دلوك وأسروه ونقلوه إلى القسطنطينية[٢٦]، فاستعد سيف الدولة للقيام بغزوة انتقامية في الأراضي البيزنطية، وسار سنة(345هـ/956م) قاصداً خرشنه وصارخه فخربهما وأسر عدداً من البطارقة [٢٧]، ثم سار الى حصن زياد وحاصره ألا انه اضطر إلى رفع

الحصار والعودة بعد أن وصلته الأخبار بأن الدمستق نقفور اتجه إلى مهاجمة الشام (٢٨)، ثم أغار البيزنطيون على ثغر طرسوس واحرقوا قراها (٢٩)، فاسرع حاكم الثغر وقابل سيف الدولة في أثناء عودته عند أذنة، فخلع عليه سيف الدولة وزوده بالأموال والعتاد(٣٠).

ومنذ سنة(346هـ/957م) تمكن البيزنطيون من استعادة نفوذهم على المناطق التي خسروها، فتمكنوا من الاستيلاء على حصن الحدث سنة (346هـ/957م) دون قتال وقام نقفور فوقاس بتدميره وطرد حاميته الى حلب(٣١).

أستغل البيزنطيون انتصارهم في الحدث، وواصلوا غاراتهم على منطقة الجزيرة، فهاجم ابن الشمشقيق سنة(347هـ/958م) آمد وأرزن وميافارقين، ثم حاصر حصن اليماني بالقرب من آمد، فأرسل سيف الدولة غلامه نجا في عشرة آلاف رجل الا أن ابن الشمشقيق الحق به الهزيمة (٣٢)، ثم تمكن البيزنطيون من احتلال سميساط ثم اتجهوا نحو سوريا، ووصلوا حتى رعبان على الطريق بين حلب وسميساط، فجهز سيف الدولة جيشاً وكان هو في المقدمة، والتقى الطرفان في معركة عند رعبان، فهزم سيف الدولة في شهر شعبان سنة(347هـ / نوفمبر 958م)(٣٣) .

تولى الإمبراطور رومانوس الثاني العرش خلفاً لوالده قنسطنطين السابع، وأجرى عدة تغييرات في القيادة العسكرية البيزنطية ، فنقل نقفور فوقاس من القيادة الشرقية للعمل ضد كريت لاستردادها من المسلمين، كما تم تعيين ليوفوقاس دمستقاً على الشرق لمواجهة الحمدانيين خلفاً لاخيه نقفور (٣٤)، وقد عاون ليو فوقاس في مهمته ابن الشمشقيق قائد أعالي العراق .

في سنة(348هـ/959م) هاجم ابن الشمشقيق منطقة الجزيرة وحاصر آمد وميافارقين، كما أغار على نصيبين والرها وحران، أما الدمستق ليو فوقاس فقد هاجم

طرسوس والهارونية ثم اتجه الى ديار بكر، وتمكن من اسر محمد بن ناصر الدولة نائب سيف الدولة في حلب اثناء مغادرة سيف الدولة لها(٣٥) .

وفي سنة(349هـ / 960م) استعد البيزنطيون لغزو جزيرة كريت، فسحبت معظم قواتها من حلب ونقلتها إلى كريت ، ولما شعر سيف الدولة بنقص القوات البيزنطية المواجهة له عد الفرصة سانحة لتحقيق نصر عسكري كبير، فقام بغزوته المشهورة داخل الأراضي البيزنطية سنة(349هـ / 960م)، تلك الغزوة التي انتهت بخسارة كبيرة لسيف الدولة وجيشه(٣٦) .

كانت هزيمة سيف الدولة ذات أثر بالغ على إمكاناته العسكرية، فالخسائر كانت كبيرة أثرت على سيف الدولة وجيشه، ولكن سيف الدولة أراد الانتقام لهذه الخسارة فأرسل غلامه نجا في سنة(350هـ/961م)، للقيام بغزو الاراضي البيزنطية، ونجح نجا في هزيمة القوات البيزنطية وقوات ملطية المشتركة معها بقيادة عبد الله الملطي عند هنزيط (*) وكان البيزنطيون يسيطرون على الدرب الذي سيعبره، فحدثت اشتباكات بين الطرفين، تمكن نجا من الانتصار على البيزنطيين وسيطر على الدرب وخرج منه سالماً ، ثم سار الى قلقيلا فقام بغارة اخرى حصل فيها على غنائم وفيرة وعاد الى حلب (٣٧)، وكانت هذه الاشتباكات عبارة عن غارات انتقامية لم تثمر عن استرداد أي حصن من الحصون .

حصل نقفور فوقاس على لقب الدمستق على الشرق خلفاً لاخيه ليو فوقاس نتيجة الهزائم التي لحقها بالقوات الحمدانية وخاصة في مغارة الكحل سنة (349هـ/960م)، فسعى الى احتلال حلب، وقسم القوات البيزنطية الى مجموعتين: عمليات في قيلقيا والعواصم حتى حدود الفرات، والهدف منها تمهيد الطرق للزحف على حلب نفسها، ثم العمليات التي تمت منذ أواخر سنة (351هـ/963م) وانتهت بالاستيلاء على حلب(٣٨) .

واتخذ البيزنطيون من مدينة قيصرية في كبادوكيا قاعدة لعملياتهم العسكرية، ففيها كانت القوات القادمة من القسطنطينية تجتمع مع القوات التابعة لقادة آسيا الصغرى [٣٩]، واتجه نقفور في بداية عملياته العسكرية سنة(350هـ/ 961م) إلى الاستيلاء على مدينة عين زربى لأنها تقع على أقصر طريق بين قيصرية وحلب [٤٠]، وتمكن من السيطرة عليها، وبالرغم من ان نقفور قد منح أهلها الأمان ألا انه لم يف بعهده، فبالغ في الانتقام فجمع السكان في المسجد وقتل كل من تأخر في بيته، ثم قطع نخيل البلدة ويقدر بأربعين ألف نخلة، وأمر بطرد السكان خارج المدينة وألا قتلوا، ثم استولى على الأسلحة والأمتعة وأمر بهدم الجامع وكسر المنبر ودمر أسوار المدينة ومنازلها، وظل نقفور ينشر الخراب واحداً وعشرين يوماً فتح خلالها أربعة وخمسين حصناً حول عين زربى، بعضها بالأمان وبعضها بالسيف [٤١]، ثم عاد نقفور إلى قيصرية لاقتراب موعد الصيام وعيد القصح، اما بقية الجيش البيزنطي فقد واصل الهجمات على حصن دلوك ورعبان ومرعش سنة(351هـ/962م)[٤٢].

وبعد رحيل نقفور فوقاس تمكن سيف الدولة من أعادة بناء حصن زربى المنهدم وأعاد اليه سكانه[٤٣]، وكان رد الدمستق نقفور على ذلك بان جهز جيشاً كبيراً لاحتلال حلب والقضاء على الأمارة الحمدانية، فألحق بسيف الدولة خسائر كبيرة نتيجة ضعف الجيش الحمداني وازدياد الطامعين من غلمانه فيه، فلم يستطع الوقوف في وجه نقفور الذي جاء بجيش يؤكد انه ينوي ان يفعل بحلب ما فعله من قبل بكريت وعين زربى[٤٤] .

وتمكن سيف الدولة بعد هذه الهزيمة من أعادة تنظيم قواته أواخر عام (352هـ/963م)، وبدأ الحمدانيون غاراتهم على الأراضي البيزنطية عن طريق ثلاثة دروب مختلفة فهاجم الطرسوسيون من ناحيتهم وتوغلوا حتى قونية [٤٥]، وفي عودتهم فوجئوا بالقوات البيزنطية قد احتلت الدرب ، ولكن الطرسوسيين استطاعوا هزيمة

القوات البيزنطية والخروج من الدرب بسلام، ودخل نجا غلام سيف الدولة الأراضي البيزنطية من درب آخر ووصل حتى ملطية واستمرت هجماته ثمانية عشر يوماً، بينما اكتفى سيف الدولة بأن أقام على رأس أحد الدروب انتظاراً لهجوم بيزنطي مضاد لأنه كان مريضاً في ذلك الوقت، ولم يعد إلى حلب الا بعد أن عاد نجا والطرسوسيون(٤٦) .

اخترق ابن الشمشقيق قيليقيا بعد ان عينه الإمبراطور نقفور فوقاس دمستقاً على الشرق، ونزل على أذنة ، وقد أسرعت قوات طرسوس لمساعدة أذنة ألا أن الدمستق ابن الشمشقيق أنزل بالطرسوسيين الهزيمة وقتل منهم عدداً كبيراً، ولجأ الباقي الى تل بالقرب من أذنة فأحاط بهم البيزنطيون وقضوا على الطرسوسيين (٤٧)، وقد أطلق على ذلك التل بعد هذه المعركة أسم تل الدم لكثرة ما جرى عليه من دماء المسلمين(٤٨)، ثم أتجه ابن الشمشقيق الى المصيصة عام(353هـ/964م)، وحاصرها ألا انه لم يستطع الاستيلاء عليها، بسبب نقص المؤن لديه (٤٩)، ووقوع الوباء في قواته، كما ان سيف الدولة برغم مرضه اتجه على رأس قواته (٥٠) بعد ان انضمت اليه القوات الوافدة من خراسان لمواجهة ابن الشمشقيق (٥١)، فاضطر البيزنطيون إلى رفع الحصار قبل وصول سيف الدولة، ولم يستطع سيف الدولة ملاحقة القوات البيزنطية وغزو بلادهم بسبب مرض سيف الدولة من ناحية، والغلاء الناشب في الثغور وبلاد الشام من ناحية أخرى، فعاد الخراسانيون الى بغداد ومنها إلى خراسان(٥٢) .

وفي سنة(353هـ/ 964م) شن نقفور هجوماً على قيليقيا وحاصر أذنة ثم المصيصة مدة تزيد على خمسين يوماً، كما هاجمت فرقة العسكرية مناطق واسعة حتى أنطاكية، ونظراً لاشتداد الغلاء والمجاعة في تلك الفترة فان نقفور لم يستطع أمداد جيشه بالمؤن، فأضطر الى رفع الحصار عن المصيصة والانسحاب الى قيصريه في كبادوكيا، وبعد قضاء فصل الشتاء عاد نقفور مرة أخرى الى مهاجمة

المصيصة، وتمكن من الاستيلاء عليها سنة(354هـ/ 965م)، وأسر من نجا من سكانها وأخذهم الى الاراضي البيزنطية(٥٣) .

سار نقفور فوقاس من المصيصة الى طرسوس حصن الدفاع عن الشام، وبعد مقاومة ضعيفة من جانب الطرسوسين الذين فقدوا الامل في مساعدة سيف الدولة لهم بسبب انشغاله في إخماد ثورة غلامه نجا الذي ثار عليه في الجزيرة وأرمينيا(٥٤)، كما فشلوا في الحصول على مساعدة الاخشيديين في مصر والبويهيين في بغداد (٥٥)، فان الطرسوسيين طلبوا الامان من نقفور وسلموا اليه المدينة سنة (354هـ/965م)(٥٦) .

بعد استيلاء نقفور فوقاس على طرسوس جردها من طابعها الإسلامي، فقد عين عليها حاكماً بيزنطياً من قبله ومعه خمسة آلاف جندي بيزنطي (٥٧)، ثم طرد سكانها المسلمين الى أنطاكية، واستوطن فيها مواطنون أرمن بدلاً من المسلمين، وهكذا أصبحت قيليقيا ارضاً بيزنطية، بعدما كانت قاعدة أسلامية للعمليات ضد البيزنطيين لمدة ثلاثة قرون، وتحولت الى ثغر بيزنطي جديد عاصمته طرسوس(٥٨) .

بعد احتلال طرسوس تمرد سكان أنطاكية على سيف الدولة فطردوا نائبه وأصبح رشيق النسيمي (*) حاكماً عليهم، ونظراً لغياب سيف الدولة عرض رشيق الدخول في طاعة الإمبراطور نقفور فوقاس، فوافق الإمبراطور مقابل ان يحمل له الخراج من أنطاكية(٥٩) .

رأى سيف الدولة بعد سقوط معظم الثغور الإسلامية في يد البيزنطيين، وعدم قدرته على مواصلة القتال، ضرورة مهادنة الإمبراطور نقفور لامحاربته، فعقد معه هدنة وتبادل الأسرى(٦٠)، وتقررت الهدنة لمدة أربع سنوات، لكن البيزنطيين لم يحترموا الهدنة مع سيف الدولة بعدما سيطروا على معظم المناطق، فهاجموا مدن آمد ودارا

واقتربوا من نصيبين التي هرب أهلها خوفاً من القضاء عليهم [٦١]، أما الإمبراطور فقد هاجم في نفس الوقت منبج واستولى منها على أثر مقدس[٦٢] .

ثم سار نقفور بعد ذلك إلى حلب عن طريق وادي بطنان [٦٣]، فقام سيف الدولة بشن الهجمات على قوافل تموين القوات البيزنطية بمساعدة قبائل الأعراب، لكنه عجز عن مقاومة البيزنطيين، فعرض على نقفور سداد مبلغ من المال اليه، لكن الإمبراطور رفض وطلب نصف الشام، وبدأ بشن غارات على ضواحي حلب، غير ان نقفور أدرك صعوبة الاستيلاء على حلب بعد أن قلت المؤن لدى قواته، فآثر العودة الى بلاده عن طريق أنطاكية التي تمردت على الإمبراطور ورفض سكانها الاستسلام برغم حصار نقفور لها ثمانية أيام[٦٤] .

وبعد تلك الأحداث توفي سيف الدولة سنة(357هـ/ 967م)، بعد حياة حافلة بالجهاد ضد البيزنطيين حتى بلغت غزواته أربعين غزوة [٦٥]، وكان البيزنطيون قد تمكنوا من القضاء على مقاومة سيف الدولة في سنواته الأخيرة، فنجحوا في فصل الثغور وقيليقيا عن الأمارة الحمدانية[٦٦].

أما في الجزيرة فقد استغل الروم الفرص للقيام بهجمات عليها، ففي سنة (361هـ/971م)، كادت الجزيرة تكون خالية من قوة تذب عنها فأغاروا على ديار بكر والرها ونصيبين، فأبو تغلب كان عاجزاً عن صدهم لانشغاله في صراعه مع أخوته، والخليفة المطيع لاحول له ولا قوة من جراء التسلط البويهي حين وصول الخطر البيزنطي إلى ذروته ، فسارت جماعة من أهل الجزيرة إلى بغداد وتظاهرت أمام دار الخلافة ، فأعلن الكثير من العامة التطوع ، وكتب الى أبي تغلب بإعداد العدة لتحقيق الغارة[٦٧]، الا أن البويهيين نجحوا في اثارة النزعات الطائفية في سكان بغداد لانشغال الخلافة العباسية واشتداد خطر العيارين [٦٨]، وطلب بختيار البويهي الأموال من الخليفة المطيع للأنفاق على الحرب، ورد عليه الخليفة: ((لو كان الخراج يجبى إلي

لدفعته ما يحتاج المسلمون اليه، ولكن أنت تصرف منه في وجوه ليس بالمسلمين اليها ضرورة وأما أنا فليس عندي شيء فأرسله اليك))[٦٩] وسبب الحاج بختيار وتهديده له أضطر أن يبيع بعضاً من ثيابه وأثاثه فجمع له أربعمائة ألف درهم ((فصرفها بختيار في مصالح نفسه وأبطل تلك الغزاة فانقسم الناس))[٧٠].

ان الانتصارات التي حققها الدمستق [٧١]، جعلته يطمع في غزو البلاد الإسلامية فتقدم سنة(323هـ/934م)، لاحتلال الثغور الاسلامية كالمصيصة وأدنة وطرطوس، وقد تجرأ الدمستق على أن يبعث بقصيدة يهدد فيها باحتلال الحرمين وسبي أهلها[٧٢]، وأعاد غزوة لآمد[٧٣]، فارضاً الحصار عليها في شهر رمضان سنة (362هـ/ حزيران 973م)[٧٤]، وقد قدرت القوات البيزنطية بخمسين ألف رجل منهم عشرون ألفاً من المدججين بالسلاح وذوي الرتب العالية ومن مقدميهم، ولعل تحصيناتها حالت دون استيلاء القوات البيزنطية عليها[٧٥].

ويذهب المؤرخ الارمني متى الرهاوي [٧٦] إلى أن المدينة كانت تعود ملكيتها إلى شقيقه سيف الدولة أبي الحسن علي بن عبد الله أبو الهيجاء حفيد حمدان بن حمدون، أمير قبيلة تغلب صاحب حلب، بينما تقف المصادر الإسلامية صامتة حول ملكية المدينة، وتكتفي بالإشارة إلى أن الذين تولوا حركة التصدي لقوات الدمستق ، أمير الموصل أبو تغلب، وشقيقه هبة الله أبناء ناصر الدولة بن الحسن ابن عبيد الله بن حمدان بن حمدون [٧٧]، بدعوة من صاحبها هزار مرد مولى أبي الهيجاء حفيد حمدان بن حمدون، كما تشير المصادر السريانية[٧٨]، ويؤيدهم بالرأي الهمذاني ، وأبن الأثير، وسبط أبن الجوزي، وابن كثير[٧٩] .

ويبدو أنه لايوجد تناقض فيما تشير اليه المصادر الأرمينية والسريانية والإسلامية، وأنما ما ورد فيها من معلومات جاءت مكملة لبعضها بعض، ولعل الأمر يتضح ان كانت شقيقة سيف الدولة أبي الحسن علي بن عبد الله أبي الهيجاء حفيد

حمدان بن حمدون متزوجة من هزار مرد مولى أبي الهيجاء حفيد حمدان بن حمدون، وأن مدينة آمد تحت حكمهما، وبدورهما بعثا يستنجدان بأبي تغلب وشقيقه هبة الله أحفاد حمدان ابن حمدون(٨٠) .

لقد حشد أبو تغلب أمير الموصل قواته بقيادة شقيقه أبي القاسم هبة الله بن ناصر (٨١) الدولة بن حمدان، وأنضم اليه العامة، وأهل الثغور الإسلامية (٨٢)، وتقدم إلى آمد حيث القوات البيزنطية المحاصرة للمدينة، التي كانت تنتشر في نواحي هنزيط، ومعابر الفرات، وما يليها من ديار بكر(٨٣) .

ويذكر الصابئ أن القوات التي تولى قيادتها هبة الله، كان معظمها من الرجال الذين أمدهم به الملك عز الدولة بختيار، ويصفهم بأنهم ((كانوا أقوى تلك الطوائف المجتمعة لديه وأولاها بعائدة النصر والظفر عليه، وفيمن انضوى اليهم من قبائل الأعراب وصناديدها، وفتاك الاكراد وصعاليكها، وساروا بصدور منشرحة، وأمال منفسحة))(٨٤)، ويؤكد الصابي أن هبة الله وصل بقواته ظاهر آمد (يوم الثلاثاء 27 رمضان 362هـ / 1 تموز 973م)، وتأكد له أن الدمستق قد استولى على ضواحي هنزيط ودروب (طرق) الفرات، والمناطق التي تليها، فأقامت القوات الإسلامية ليلتها في ظاهر أمد والقوات البيزنطية تقيم عنهم مسافة يوم(٨٥) .

واستطاعت القوات الإسلامية فتح ثغرة في صفوف القوات البيزنطية أمام أبواب المدينة، مما أدى إلى فرار مجموعات كبيرة من قوات الدمستق مليح، ويصف متى الرهاوي هذه المجموعات بأنهم غير مخلصين، وقد ألحقت القوات الإسلامية بهم خسارة جسيمة بعد معركة فاصلة، انسحب على أثرها الدمستق مع قواته جنوب شرق مدينة أمد إلى مكان يدعى أوكال ويعرف الآن باسم ديكال على ضفاف نهر دجلة بعيداً عن منال سهام قوات مدينة أمد، وعسكر فيه(٨٦)، ويبلغ أقصى مدى للوادي بين الأبواب الشرقية للمدينة ونهر دجلة 3150م ، ولعل هذا المكان أحد الشعاب والوديان

التي تشتهر بها مدينة أمد، بحكم موقعها (٨٧)، ويصف مسكويه المكان بأنه ضيق تصعب الحركة فيه مع القوات والعدة والخيل التي كانت برفقة الدمستق(٨٨) .

ويبدو أن المكان شل حركة القوات البيزنطية برغم عددها وعدتها، ومع أنه يجب أن تكون بهذا العدد والعدة قوة ضاربة، ألا أنها أصبحت عبئاً على حركتها، ولم تعد تجدي نفعاً في مثل هذه الأماكن الضيقة، حيث حد المكان من حركة القوات، وبخاصة بعد أن انشغلت القوات بتضميد جراحها أثر الهزيمة التي ألحقت بها أمام أبواب مدينة آمد (٨٩)، ولذلك لم تعد متأهبة للخوض في معركة جديدة مع القوات الإسلامية التي تطاردها(٩٠) .

وبتتبع الإحداث يتضح أن القوات الإسلامية كانت تطارد الدمستق مليحا، وقواته، حتى المكان المشار اليه، وأدركت الوضع السيئ الذي آلت اليه قوات الدمستق بعد هزيمتهم على أبواب أمد، وازدياد وضعهم سوءاً، بوجودهم في الشعب الضيق الذي قيد حركتهم، وجعل هزيمتهم أمراً محتوماً أمام القوات الإسلامية، مع أن المصادر الإسلامية لم تذكر ألا اليسير من المعلومات عن تفاصيل هزيمة الدمستق، غير ان المؤرخ الارمني متى الرهاوي، قدم معلومات دقيقة غطت جوانب مهمة من أحداثها.

وبينما كانت قوات الدمستق مليح تضمد جراحها في المضيق على نهر دجلة، حلت بهم كارثة ثانية، فقد هبت ريح عاتية أثارت الغبار عليهم ورمت بأمتعتهم في دجلة، وانغمست قواتهم وحيواناتهم بظلام دامس، ولم يعد بأمكانهم الرؤية أو أيجاد مخرج لهم من الوضع المريع(٩١) .

وأدركت القوات الإسلامية الوضع الذي آلت اليه القوات البيزنطية (٩٢)، فانقضوا عليهم ، ولم يجد الفرار نفعاً مع القوات البيزنطية، وتمكنت القوات الإسلامية

من تحقيق النصر عليهم، وأسروا قائدهم الدمستق (٩٣)، وأربعين من قادتهم (٩٤)، وتحدد المصادر (يوم الجمعة 30 رمضان 362هـ / 4 تموز 973م)، تاريخاً للمعركة(٩٥).

ويصف الصابئ المعركة قائلاً: ((فثبت الطغاة اغترارا بوفور أعدادهم ومحاماة عن صاحبهم وعظيم كفرهم، وأخذ الاولياء الملحمة، وعلت الغمغمة، ودارت رحى الحرب، واستحر الطعن والضرب، وتصافحت بيض الصفاح، وتداعى الأولياء بشعار أمير المؤمنين المنصور، وتنادى الكفار بالويل والبثور، فنكصوا على أقدامهم مجدين في الهزيمة، واعتدوا الحشاشات (بقية الروح) لو سلمت لهم من أعظم الغنيمة، واستلحمهم السيوف واحتكمت فيهم الحتوف، وأخذ المسلمون الثأر، وعجل الله بأرواحهم الى النار وأسر بعد قتل ألوف منهم في المعركة، الدمستق رئيس عساكرهم وقائدهم ومدبر حروبهم ومرتباً وما أخذ المسلمون قبله دمستقاً))(٩٦)، وتم أسر ابن البلنطس(*) ورسوله في المواثيق ورسم السياسات والمعاهدات، كما تم أسر ((جماعة من البطارقة(٩٧) والزواورة(٩٨) والاراخنة(٩٩) والطراخنة(١٠٠))) (١٠١) .

وبالعودة إلى صحة إرسال الملك عز الدولة بختيار للقوات، فأن تاريخ المعركة يؤكد بأنه لم يرسل أي قوات تذكر إلى الجزيرة الفراتية، ويبطل ما أشارت اليه المصادر الإسلامية من أن الملك أرسل قوات حققت انتصارات على القوات البيزنطية، وأسرت قائدها وألحقت هزيمة فادحة بها، لان تاريخ الهزيمة جاء بعد يوم من تاريخ الفوضى والفتن واشتعال النار في بغداد، والذي يصادف يوم الخميس (29 رمضان 362هـ / 3 تموز 973م)، فكيف والحال ان يرسل قوات لنجدة سكان الجزيرة الفراتية، وهو الذي أمر قواته بإخماد الثورة والفتن بإشعال النيران في بغداد(١٠٢).

أما ما أشار اليه الصابئ في الرسالة حول القوات التي التحقت بالقائد هبة الله، فلعلها القوات المتطوعة من الإعراب والأكراد وأهل الطوائف، لان الرسالة لم تشر

إلى الديلم والأتراك أطلاقا ، كون القوات النظامية كانت تتألف آنذاك منهم، وهذه القوات كانت مشغولة في إخماد الثورة في بغداد.

لقد أعز الله الإسلام بهذا النصر، فكثر القتل والأسر في صفوف القوات البيزنطية[١٠٣]، فغنم المسلمون غنائم جليلة من السلاح والعدد [١٠٤]، عادوا بها إلى مدينة أمد وبرفقتهم الأسرى وعلى رأسهم الدمستق مليح[١٠٥] .

وقد استولى المسلمون على العديد من الخيول والأسلحة وغنموا من عدة القوات البيزنطية ما زاد من قوتهم واشتدت به شوكتهم[١٠٦]، وقد انعكس هذا الانتصار على سكان الثغور والجزيرة الفراتية، فقد انتشروا في البلاد وسلكوا في الطرقات يبحثون عن معايشهم آمنين مطمئنين، ويجمعون غلات أرضهم من دون خوف أو رهبة[١٠٧].

ويتضح من تاريخ المعركة أن القوات الإسلامية عبرت عن فرحتها ونشوة انتصارها في مدينة آمد باستقبالهم عيد الفطر بانتصارهم العظيم، وقد سير الدمستق يوم الأحد (2 شوال 362هـ / 6 تموز 973م)، ثاني أيام عيد الفطر الى مدينة الموصل[١٠٨]، وأرسل أبو تغلب الكتب والرسائل إلى الخليفة المطيع يبلغه ويبشره بنشوة النصر[١٠٩] الذي رزقهم الله به آخر أيام رمضان .

وكاتب أمير المؤمنين والملك عز الدولة بختيار أبا تغلب بان ((يتناهوا في التوثيق من عدو الله الدمستق، ومن قرينه ابن البلنطيس، والوجوه المأخوذين معهما، المأسورين بأسرهما، وإنفاذ رؤوس من قتل من الاكابر، دون من يفوت الإحصاء من الاصاغر))[١١٠] .

وأرسل إلى بغداد رؤوس وأيدي بعض قتلى القوات البيزنطية [١١١]، وبرفقتهم أربعون أسيراً من ضباط القوات البيزنطية إلى الخليفة [١١٢] تعبيراً عن نشوة النصر، ويؤكد متى الرهاوي أن الأربعين أسيراً ماتوا جميعا [١١٣]ولم يحدد كيف ؟

وقد عزا متى الرهاوي هزيمة القوات البيزنطية كعادته الى عقاب سماوي بسبب الغضب الالهي عليهم لانغماسهم بملذات الدنيا وانشغالهم عن التصالح مع الرب والسعي إلى النصر(١١٤)، ولعله أراد أن يبرر هزيمتهم، لان قائدهم من أصول أرمنية، وبخاصة أنه يمتاز بروحه الوطنية ومشاعره القومية ونزعته الدينية في كتاباته (١١٥)، في حين أكد أن نصر المسلمين كان بسبب وقوف الله الى جانبهم بسبب مصالحتهم معه(١١٦).

وتشير المصادر إلى أن أبا تغلب أخذ الدمستق مليحاً أسيراً عنده في الموصل، لعله يستفيد من وجوده عنده ببناء جسر الصداقة مع الإمبراطور البيزنطي، أو الاستفادة منه في الحد من غزو القوات البيزنطية أراضي بلاده ثانية (١١٧)، ولذلك أحسن ضيافته وأكرمه (١١٨)، وكان الدمستق قد ثار عليه جرح في جسده في أثناء وجوده في الأسر، وقدم أبو تغلب في علاجه، فأحضر له الأطباء، ألا ان جميع محاولات علاجه باءت بالفشل، فمات (١١٩) في شهر(جمادي الآخرة 363هـ / آذار 974م)(١٢٠) .

وقد زعم المؤرخ الارمني متى الرهاوي أن سبب التسامح الذي يمليه الدين الإسلامي على المسلمين في تعاملهم مع الأسرى البيزنطيين، هو خوف قادة المسلمين من غضب الأمة البيزنطية، إذا ما علمت ما حل بقواتها، اذ أشار إلى أن قادة المسلمين، عندما شاهدوا ما حل بالدمستق وقواته، خشوا الامر، فقالوا: ((ان الدم الروماني الذي أرقناه لا يجدينا نفعاً، فهذه الامة ستنقض علينا، ولذلك علينا ان نتصافح، ونبني جسور صداقة ونتحالف مع القائد الروماني والضباط الذين وقعوا في قبضتنا، فبعد أن يؤدوا اليمين نتركهم يرجعون بسلام الى ديارهم))(١٢١).

ومهما تكن تعليقات متى الرهاوي، فأن العلاقة التي بنيت بين أبي تغلب والدمستق مليح، فسحت المجال أمام الدمستق أن يحصل على قدر كاف من الحرية

في الأسر، لدرجة أنه أستطاع أن يرسل رسالة للامبراطور زيميسكس في القسطنطينية، يوضح له الأمر الذي آلت اليه القوات البيزنطية واللعنة التي حلت بهم، فكتب قائلاً: ((أننا لا نستحق هذا الحكم وأن ندفن موتانا بموجب العادات المسيحيين في أرض مقدسة، ولم ننل مثوى آخر لعظام موتانا سوى أرض ملعونة يدفن فيها الاشرار، كلا، نحن لا نعترف بسيد شرعي للإمبراطورية الرومانية المقدسة، ان الموت التعيس للجم الغفير من المسيحيين ودمهم المراق تحت أسوار آمد، وموتانا على أرض غريبة، أحملكم مسؤوليته وأشكوكم إلى الرب السيد المسيح يوم الحساب اذا لم تنتقموا من هذه المدينة انتقاماً مبيناً))[١٢٢].

ويبدو التحريض واضحاً من رسالة الدمستق للإمبراطور، وحثه على حرب المسلمين، ويحمله مسؤولية هزيمة القوات البيزنطية، وهذا ما يؤكد ان الإمبراطور هو الذي خلف الدمستق في أراضي المسلمين عندما جعله يتخذ من هنزيط قاعدة للقوات البيزنطية، للانطلاق على الأراضي الإسلامية[١٢٣].

ويؤكد في الرسالة عدم الاعتراف بشرعية الإمبراطور، أذا لم تستمر سياسة الفتوحات البيزنطية في الأراضي الإسلامية من خلال حشد القوات البيزنطية، واجتياح أراضي المسلمين، للانتقام منهم، ويقترن مطلبه هذا بشكواه إلى الرب السيد المسيح ان لم يستمر بسياسة الفتوحات، ولعل هذا الربط يؤكد الاعتقاد السائد بينهم بفكرة الحرب الصليبية من خلال رفع راية الصليب في الحملات التي يجب أن يقودوها ضد المسلمين .

وقد أثارت رسالة الدمستق شجون الامبراطور زيميسكس عندما تسلمها، فاستشاط غضباً [١٢٤]، فدعا قادته وحشد الجيوش من جميع المناطق التابعة له في الغرب والشرق، وضم الجيش العديد من الجنسيات التي تستظل في حمى الإمبراطورية البيزنطية، وقصد في العام نفسه الديار الإسلامية، فاجتاح الثغور الشامية والجزرية

وعرج على الجزيرة الفراتية، وقصد الساحل الشامي حتى حدود بيت المقدس، وحقق انتصارات عظيمة فرض فيها الإتاوات والجزية والخراج على العديد من الأمراء المحليين من المسلمين، وعقد معهم معاهدات سياسية واقتصادية، وأناب عنه في بعض المناطق أمراء منهم، وقد جسدت هذه الحملة البدايات الأولى للحروب الصليبية، أذ أعلن خلالها رفع راية الصليب ضد المسلمين(١٢٥) .

لم يكن للأمراء الحمدانيين بعد سيف الدولة قوة عسكرية، ولم يشكلوا أي خطر على البيزنطيين، بل أنحصر اهتمامهم في محاولة الاتفاق مع الأباطرة، لان الحمدانيين كانوا مهددين من البويهيين في الشمال والفاطميين في الجنوب(١٢٦) .

وبعد وفاة سيف الدولة خلفه في حكم أمارة الحمدانيين في حلب، ولده سعد الدولة أبو المعالي شريف في سنة(356هـ/967م)، وفي السنة الأولى من حكمه دخل في نزاع مع خاله أبي فراس الحمداني، وانتهى ذلك النزاع بقتل أبي فراس في ربيع الأول سنة(357هـ/ 967م)(١٢٧)، ولم يستطع الإمبراطور نقفور فوقاس استغلال المصاعب التي نشأت في الإمارة الحمدانية عقب وفاة سيف الدولة بسبب الموقف على الجبهة البلغارية (١٢٨)، ولم يكن قبل أواخر عام (357هـ/ 968م) عندما ظهر نقفور مرة أخرى في الأراضي الإسلامية، اولاً في منطقة الجزيرة ثم زحف منها على بلاد الشام، ففي ذي القعدة عام (357هـ/ 968م) هاجم الإمبراطور ديار مضر، ثم وصل حتى أرزن وميا فارقين وكفرتوثا فقتل وسبى من سكان تلك المناطق عدداً كبيراً ثم اتجه إلى بلاد الشام(١٢٩).

وظن سعد الدولة ان الإمبراطور ينوي مهاجمة حلب فخرج منها إلى باليس واستخلف عليها قرعوية حاجبه، لكن نقفور زحف على أنطاكية وحاصرها يومين فقط ثم رحل عنها(١٣٠)، بعد ان أدرك استحالة الاستيلاء عليها في ذلك الوقت .

أراد نقفور قطع كافة طرق الإمدادات التي يمكن ان تأتي منها النجدات إلى أنطاكية تمهيداً للاستيلاء عليها، فهاجم معرة مصريين وأسر سكانها ومعرة النعمان وحماة وحمص وطرابلس وحصن عرقا، ثم اتجه إلى الساحل ففتح أنطرطوس ومرقية وجبلة، وصالح سكان اللاذقية وخرب عدداً من القرى ثم عاد مرة أخرى الى أنطاكية(١٣١)، لكن نقص المؤن لدية، وأدراكه أن حصونها منيعة جعله لا يفكر في أقتحامها فبنى في مواجهتها حصن بغراس وعين له قائداً هو ميخائيل البورجى (١٣٢)، وكلف نقفور القائد ميخائيل بمراقبة المدينة ومنع سكانها من جلب المؤن والإمدادات العسكرية، كما ترك نقفور بقية الجيش في قليقيا بقيادة قائد آخر يسمى بطرس وأمر نقفور قادته بعدم مهاجمة أنطاكية انتظاراً لعودته في السنة التالية(١٣٣).

سيطر قرعويه وغلامه بكجور على الأمور في حلب بعد خروج سعد الدولة منها، ومنعا الدعاء له في الخطبة، فأقام سعد الدولة متنقلاً بين حران وميافارقين ومنبج، ولما اجتمع معه غلمان أبيه طمع في استعادة حلب، فسار اليها في شهر رمضان سنة(358هـ/ 969م) وحاصرها، فاستنجد قرعويه بالبيزنطيين ضد سعد الدولة، واسرع بطرس قائد الجيش في قيليقيا لنجدته (١٣٤)، وعلم بطرس في أثناء سيره الى حلب بالفوضى الناشبة في أنطاكية فتمكن مع ميخائيل البورجي من الاستيلاء عليها في ذي الحجة سنة(358هـ/ اكتوبر 969م)(١٣٥)، بمعاونة من المسيحيين في المدينة الذين انتقلوا اليها من بوقا(١٣٦) .

دخل البيزنطيون أنطاكية، فقاموا بأعمال التخريب، وقتلوا الكثير من السكان وطردوا الشيوخ والعجائز والأطفال، وأسروا ما يزيد على عشرين ألف من السكان (١٣٧)، وقاموا بإتلاف المسجد وحولوه إلى حظيرة للخنازير، ونقلوا إلى المدينة المسيحيين الارمن، وهكذا عادت أنطاكية مرة أخرى مدينة بيزنطية بعد حكم أسلامي دام أكثر من ثلاثة قرون(١٣٨) .

ولما علم أبو المعالي سعد الدولة باحتلال البيزنطيين رفع الحصار عن حلب واتجه إلى حمص، فازداد طمع البيزنطيين في الاستيلاء على حلب، وسار اليها بطرس وحاصرها سبعة وعشرين يوماً، ثم ترددت المراسلات بين الجانبين إلى أن تقرر الأمر على صلح وهدنة جعلت حلب محمية بيزنطية تكاد تكون خاضعة تماماً للنفوذ البيزنطي[١٣٩]، ومن أهم شروط تلك الهدنة التي عقدت سنة(359هـ/ 970م)، ان يتولى حكم حلب قرعويه ثم بكجور ومن بعدهما ينصب الإمبراطور أميراً يختاره من سكان حلب، وليس للمسلمين ان ينصبوا أحداً، أي أنها استبعدت سعد الدولة الحمداني أمير حلب الشرعي، ويدفع قرعويه الجزية للإمبراطور عن البلاد الداخلة في الهدنة بواقع سبعمائة ألف درهم سنوياً[١٤٠]، كما يدفع عن كل صغير وكبير من سكان تلك البلاد ديناراً قيمته ستة عشر درهماً أسلامياً، في حين يعفى المسيحي في هذه الأعمال من الجزية الا اذا كان له بها مسكن او ضيعة، وكانت أخطر الشروط تلك التي تنص على أن لا يسمح قرعويه للمسلمين بالغزو عن طريق بلاده ولو قاتلهم على ذلك ، وأن يستعين بالقوات البيزنطية في حالة عجزه عن دفعهم ، وإذا خرج الإمبراطور أو قائد جيشه إلى غزو بلد أسلامي يستقبله بكجور في الموضع الذي يعينه له الإمبراطور، ويسير معه في البلاد الداخلة في الهدنة، ويسمح له بشراء ما يلزمه من مؤن لتموين جنوده، أما أذا كان الجيش البيزنطي يغزو بلاداً غير أسلامية فعلى أمير حلب الاشتراك معه بقواته حسبما يأمره الإمبراطور، كما يحق للبيزنطيين تعمير الكنائس الخربة في بلاد الهدنة وسفر البطارقة والأساقفة اليها، أما في ميدان العلاقات الاقتصادية فان الاتفاقية قررت حضور عشار الملك مع عشار قرعويه وبكجور عند فرض الجمارك على البضائع الواردة من الأراضي البيزنطية، وأن يحمى أمير حلب القوافل الواردة من الأراضي البيزنطية إلى بلده [١٤١]، وهكذا أصبح أمير حلب بجرد فصيل تابع للإمبراطورية البيزنطية ومرتبطاً معها بالتزامات سياسية

وعسكرية وتجارية شديدة ، وأصبح البيزنطيون مسيطرين على شمال سوريا ويمتد نفوذهم إلى وسطها(١٤٢).

ولم تنفذ جميع شروط هذه المعاهدة ، وخاصة فيما يتعلق بخراج البلاد الداخلة في الهدنة ، فسعد الدولة الذي كان مقيماً في معرة النعمان ، لم يعترف بها ولم يؤد المال عن البلاد التي تقع في حوزته، ثم أن نقفور فوقاس قتل في أواخر المحرم سنة(359هـ / 11 ديسمبر 969م)، قبل توقيع المعاهدة بأيام قليلة في مؤامرة دبرتها زوجته ثيوفانو مع يوحنا ابن الشمشقيق(١٤٣) .

ولم يكن الإمبراطور الجديد – ابن الشمشقيق– في بداية حكمه متفرغاً للقتال ضد المسلمين ، ولم يستطع الاشتراك بنفسه في العمليات العسكرية في بلاد الشام، بسبب الحرب الروسية البلغارية وثورة برداس فوقاس ضده (١٤٤)، مما سبب في عدم تنفيذ شروط المعاهدة بشكل كامل .

ولم يكن حال المسلمين أفضل من البيزنطين ، فقد استجدت ظروف جديدة باستيلاء الفاطميين على مصر وسعيهم للسيطرة على بلاد الشام ، ويبدو ان قرعويه وبكجور قد شعرا بالمهانة والإذلال نتيجة المعاهدة التي عقدت مع البيزنطيين فقبلا التحالف والدخول في حماية قوة أسلامية جديدة، وعلى ذلك أقاما الدعوة للفاطميين أواخر سنة(359هـ / 970م)(١٤٥) .

وظل سعد الدولة يترقب الفرصة للعودة إلى عرشه في حلب مرة أخرى، وكان بكجور قد تآمر على سيده قرعويه وحبسه في القلعة بعد عقد المعاهدة مع البيزنطيين، وظل منفرداً بالحكم قرابة ست سنوات (١٤٦)، وبرغم أن المعاهدة كانت تنص على أن الحكم لقرعويه ومن بعده بكجور فلم يتدخل البيزنطيون في الأمر، لان دعوة قرعويه وبكجور الخطبة للفاطميين جاءت في وقت لم يكن البيزنطيون فيه على استعداد للصدام المباشر بالفاطميين، لذلك قنع البيزنطيون بقبول المال المتفق عليه طبقاً

للمعاهدة سواء دفعه بكجور أو قرعويه، وبالنسبة لبكجور فقد ظل مواظباً على سداد المال حتى السنة التي خرج فيها من حلب سنة (367هـ / 977م) عندما تمكن سعد الدولة من أسترداد عرشه بمساعدة أعوان قرعويه الذين كاتبوه وهو في حمص سنة(366هـ/ 976م) ووعدوه بالمساعدة في دخول حلب ، فجمع سعد الدولة بني كلاب وحاصر حلب مدة أربعة أشهر حتى تمكن من دخولها في حين تحصن بكجور في القلعة، ثم استقر الأمر بين الطرفين على أن يتولى بكجور حمص وان يكون سعد الدولة في حلب[١٤٧].

لم يلتزم سعد الدولة بسداد مال الهدنة للبيزنطيين، وعد هذا الأمر موجهاً ضده[١٤٨]، ولم يقبل البيزنطيون امتناع سعد الدولة عن سداد مال الهدنة، فهاجم الدمستق برداس فوقاس حلب في جمادى الأولى سنة(371هـ/نوفمبر 981م)، ودارت المعركة على باب اليهود[*] في اليوم الثالث لوصوله، ولم يستطع سعد الدولة الصمود طويلاً في وجه البيزنطيين فقد وافق بعد يومين من القتال على سداد مبلغ أربعمائة ألف درهم سنوياً، فغادر الدمستق حلب على ذلك الاتفاق [١٤٩]، وهكذا أصبحت تبعية سعد الدولة مزدوجة لعضد الدولة من ناحية وللبيزنطيين من ناحية أخرى .

في سنة(372هـ /982م) نشب الخلاف بين بكجور وسعد الدولة، مما ساعد على ازدياد طمع الفاطميين في الاستيلاء على حلب، فاستجابوا لنداء بكجور بالمساعدة وأرسلوا له جيشاً من دمشق سار على رأسه بكجور في سنة (372هـ/983م) من أجل تحقيق هذا الغرض[١٥٠].

ولم يقف البيزنطيون مكتوفي الأيدي أمام خطر الحمدانيين في حلب، فسار برداس فوقاس على رأسه جيشه للدفاع عنها، ولا يمكن الجزم بأن وصول برداس فوقاس في هذه المرة كان بناء على طلب سعد الدولة، فقد رحل بكجور قبل وصول

القوات البيزنطية، ومع ذلك استمر يرداس فوقاس في حصار حلب، ولم يغادرها ألا بعد أن ضمن له سعد الدولة سداد مال سنتين أي حوالي اربعين الف دينار [١٥١] .

بعد هذا الاتفاق سار برداس فوقاس الى حمص في أواخر شهر ربيع الأول سنة(373هـ / سبتمبر 983م) بايعاز من سعد الدولة[١٥٢]، وارتكب برداس فوقاس في حمص إعمالا وحشية، فنهب المدينة وأحرق الجامع ولما لجأ بعض السكان إلى الكهوف أوقد عليهم حتى أهلكهم بالدخان [١٥٣]، أما بكجور فقد سار إلى دمشق حيث تولى حكمها من قبل الخليفة الفاطمي العزيز بالله ومترقباً الأحداث في حلب للتآمر من جديد ضد سعد الدولة[١٥٤].

كان سعد الدولة حاقداً على البيزنطيين ولم ينس موقفهم منه، وما ان علم بهزيمة الإمبراطور باسيل الثاني على الجبهة البلغارية في سنة(376هـ / 986م) حتى أسرع بالاعتراف بالسيادة الفاطمية، وتأكدت تلك السيادة برسالة التأييد والخلع التي أرسلها الخليفة الفاطمي العزيز بالله إلى الأمير سعد الدولة في شعبان سنة(376هـ / ديسمبر 986م) من دون ان يستطيع البيزنطيون اتخاذ إجراءات انتقامية ضده في هذه المرة، بل على العكس فان الإمبراطور باسيل الثاني أرسل السفراء إلى القاهرة لعقد هدنة مع الخليفة الفاطمي[١٥٥].

وبرغم اعتراف سعد الدولة بسيادة الفاطميين ألا انه لم يسلم من محاولاتهم الاستيلاء على حلب بمساعدة بكسور المقيم في الرقة منذ طرده من دمشق في سنة (378هـ / 988م)، وهنا أدرك سعد الدولة حاجته للبيزنطيين، فأرسل إلى الإمبراطور باسيل الثاني في هذا المعنى، وتمكن سعد الدولة بفضل القوات البيزنطية في أنطاكية من احباط هجوم بكجور على حلب في سنة (381هـ / 991م)[١٥٦].

وبعد وفاة سعد الدولة في شهر رمضان سنة(381هـ / 991م)، تعرضت حلب لمحاولات عديدة من جانب الفاطميين للاستيلاء عليها، فا ستنجد أميرها أبو

الفضائل سعيد الدولة وحاجبه لؤلؤ بالإمبراطور باسيل الثاني أكثر من مرة حتى قطع الإمبراطور حروبه على الجبهة البلغارية، وعاد إلى بلاد الشام وأكد من جديد إخضاع حلب للتبعية البيزنطية سنة(385هـ / 995م)(١٥٧).

بعد وفاة سعيد الدولة سنة(392هـ / 1002م)، سادت الإمارة الحمدانية حقبة من الاضطرابات، فسيطر الحاجب لؤلؤ على الحكم وطرد ابني سعيد الدولة إلى مصر كما هرب أبو الهيجاء بن سعد الدولة إلى القسطنطينية ثم حاول العودة إلى حلب لكنه فشل (١٥٨)، ثم ثار خلاف بين منصور بن لؤلؤ وصالح بن مرداس زعيم الكلابيين منذ سنة(402هـ / 1011م)، وحاصر صالح حلب، فقام الإمبراطور باسيل بضرب القوى الاسلامية المتنافسة بعضها ببعض، فأخذ يقدم المساعدات تارة لصالح بن مرداس وتارة أخرى لمنصور ابن لؤلؤ حتى نجح صالح بن مرداس في الاستيلاء على حلب سنة(415هـ / 1025م) وأسس الأسرة المرداسية بها(١٥٩) .

- موقف بني مرداس من البيزنطيين :

كانت علاقة بني كلاب بالدولة البيزنطية علاقة تتراوح بين السلم والحرب في بعض الأوقات، ففي سنة(420هـ/1029م) بعد معركة الاقحوانة (*) علم البيزنطيون بمقتل صالح بن مرداس أمير حلب وأحد أعضاء التحالف العربي وانكسار العرب أرادوا أغتنام الوقت واستغلال ظروف المرداسيين والاستيلاء على حلب بصورة سريعة وخاطفة(١٦٠) .

سار عن أنطاكية ميخائيل الخادم بجيشه لتنفيذ خطته بدون أمر إمبراطور الروم حتى وصل قيبار(١٦١) .

ولما علم صالح شبل الدولة وأخوه ثمال بن صالح بزحف قطبان أنطاكية (١٦٢) ميخائيل الخادم نحو حلب أسرعا اليه بجيشهما والتقيا به في قيبار، وطلبا منه رفع الحصار عنها ويعود بجيشه مراعياً الجوار فلم يوافق (١٦٣) على طلبهما فحاصراه في

قيبار (*) وهو يقاتل حصنها فانكسر جيشه (١٦٤) بعد أن سقط الكثير من القتلى من الطرفين وغنم المرداسيون الكثير من معداتهم (١٦٥) وكان ذلك لليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة(420هـ/ 1029م)(١٦٦) وهذا يعني ان البيزنطيين أرادوا الاستيلاء على حلب بعد خمسين يوماً من معركة الاقحوانة وقتل صالح بن مرداس، فجرت بين المرداسيين وميخائيل الخادم مراسلات ومفاوضات حتى استقامت الامور بينهم وتصالحوا على عدم الاعتداء (١٦٧)، وعاد شبل الدولة نصر وأخوه الى حلب وبقيا متعاونيين في أدارة البلاد حتى جرى خلاف بين شبل الدولة نصر وأخوه ثمال (١٦٨) دفع شبل الدولة أن يقتحم باب قلعة حلب (١٦٩) في جماعة من حرسه فلم يمانعه أحد من حرس باب القلعة لهيبته (١٧٠) وجلس في مركز أخيه وقال: ((ان من قدم أخي على فقد أساء لأنني أولى بمداراة الرجال وهو أولى بمداراة النساء))(١٧١)، ومن ذلك اليوم جعل نصر لأبواب قلعة حلب سلاسل حديدية تمنع الراكب دخول أبواب القلعة فجأة(١٧٢)، كما أصدر مرسوماً أميرياً يقضي ألا يدخل القلعة أحد متقلداً سيفه، ولو أنه أقرب الناس مودة إلى مالكها، أنفرد شبل الدولة بأمارة حلب (١٧٣) بعد أن استولى على القلعة والبلد أنفرد بالسلطة وذلك سنة(421هـ/1030م)(١٧٤)، وكان يساعده في أدارة البلاد وزيره أبو الفرج المؤمل بن يوسف الشماس (١٧٥) الذي ينسب اليه حمام الشماس بحلب بحي الجلوم (١٧٦)، وكان نصرانياً حسن التدبير محباً لفعل الخير وكان أخو الوزير ناظراً في مدينة حلب فعمرها وعمر المساجد فيها(١٧٧) .

أما ثمال بن صالح فقد جمع الأعراب وعزم على محاربة أخيه شبل الدولة نصر، وبالغ في مضايقته مما أضطر شبل الدولة نصر أن يكتب إلى أرمانوس (١٧٨) أمبراطور بيزنطة يستدعيه إلى حلب(١٧٩) فخرج الإمبراطور بـ ستمائة ألف مقاتل حتى وصل الى أنطاكية، ولما شعر العرب بالخطر الذي سيلحق بهم حال وصول أمبراطور بيزنطة بجيشه الى حلب، توسط زعماء العرب بين الاخوين شبل الدولة

نصر وأبى علوان ثمال [١٨٠] بن صالح على أن تكون حلب لنصر، وبالس والرحبة لثمال، وتم الصلح بينهما عندئذ رجع شبل الدولة عما كان راسل به امبراطور بيزنطة[١٨١] .

وبعد ان تم التراضي والصلح بين الاخوين نصر بن صالح بن مرداس وبين أخيه ثمال بن صالح بن مرداس أرسل شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس ابن عمه مقلد بن كامل بن مرداس بن ادريس الكلابي رسولاً الى امبراطور بيزنطة ارمانوس[١٨٢] يشكره على تلبية النجدة ويطلب اليه العودة بجيشه عن قصد حلب وأن مخاوف شبل الدولة قد زالت وأنه سيرسل الى الامبراطور البيزنطي الاموال ما كان يحمله اولاد سيف الدولة الى باسيل امبراطور بيزنطة السابق [١٨٣]، فرفض أرمانوس هذا الطلب وأعتقل مقلد بن كامل المرداسي عنده،ولما تأكد امبراطور الروم ارمانوس عدم قدرته على محاربة العرب في حلب [١٨٤]، سار من انطاكية الى قيبار [١٨٥] يريد العودة الى بلاده، فكان معه ملك البلغار، وملك الروس، الابخاز [١٨٦] والخزر [١٨٧] والارمن والبجناك[١٨٨] والافرنج .

تمكن نصر بن صالح بن مرداس واصحابه وعشيرته من التغلب على سرية من سرايا البيزنطيين وطاردوهم، مما أضطر الامبراطور ان ينزل بجيوشه قريباً [١٨٩] من جبل برصايا [*]، وضرب الامبراطور حول عسكره خندقاً عظيماً ووزع المسلحين بجميع الخندق لحماية المعسكر، وكانت امواله تقدر بسبعين حملاً[١٩٠] .

تمكن أبو علوان دفاع بن نبهان الكلابي من القضاء على سرايا البيزنطيين [١٩١]، فلما علم الامبراطور ارسل سرية فيها صناديد عسكره الى حصن عزاز لمشاهدته ومعرفة قوته وجمع المعلومات الكافية عنه ليتسنى للامبراطور أرسال العدد الكافي من المقاتلة والالات الخاصة بفتح الحصن [١٩٢]، ولكن السرية لم تنجح لانها وقعت في يد بني كلاب قبل ان تؤدي مهمتها فقتلوا بطارقتها [١٩٣]، وأسروا

جماعة من اولاد الملوك، ولما علم الامبراطور بفشل السرية التي أرسلها الى غزاز، قرر العودة الى بلاده واعتذر لمن معه قائلاً: ((لولا عطش عسكري لبلغت مرادي))(١٩٤)، فاستغل نصر بن صالح بن مرداس هذا الوضع وهجم بجيشه الذي يقدر بأقل من ألف فارس (١٩٥)، على معسكر البيزنطيين وكان ذلك سنة (421هـ/1030م) فانهزم الجيش البيزنطي (١٩٦)، وأسر وغنم الجيش المرداسي سوق الإمبراطور وأمواله مما اضطره إلى تأخير رحيله ثلاثة أيام (١٩٧)، كما أضطر الإمبراطور ارمانوس أن ينزع خفه الاحمر (١٩٨)، وهو لباس خاص بالامبراطور لايرتديه غيره، ولبس خفاً أسود في أثناء هروبه مع جماعة من الارمن حموه بالسهام(١٩٩) .

تمكن شبل الدولة نصر بن صالح قائد المعركة من الحصول على تاج الامبراطور وبلاطه ولباده (٢٠٠)، وتمكن البيزنطيون من الهرب الى بلادهم منهزمين بسبب انشغال الجيش المرداسي بالغنائم التي بقيت في المعسكر من الدواب والثياب والأمتعة والآلات والأموال والمنجنيقات والتراس(٢٠١).

هكذا انتهت هذه المعركة بين المرداسيين والبيزنطيين برغم التفاوت الكبير بين القوتين، حيث كانت القوات البيزنطية تقدر بـ ستين الف مقاتل في حين أن القوات المرداسية تقدر بأقل من الف مقاتل(٢٠٢) .

ويقول ابن العديم: ((ولقد أخبر بعض من شاهدهم ان مقثأة (٢٠٣) كانت قريبة من المعسكر بمقدار رمية سهم وأن الروم لم يقطنوا منها قثأءة واحدة خوفاً من العرب تتخطفهم))(٢٠٤) .

كما يقال: ان أمبراطور الروم لما رحل هارباً أشعل النار في المنجنيقات (٢٠٥) والعردات(٢٠٦) والتراس(٢٠٧) وغنم الناس ما أبقته النار (٢٠٨) حتى يقال ان معظم البيوت التي بنيت في أطراف حلب سقفت بهذه التراس بدلاً من الدفوف أي بدلاً من ألواح الخشب .

بعد هذا الانتصار كاتب إمبراطور بيزنطة شبل الدولة وأخاه ثمال حول أسترداد حلب، فأرسل لهما رسولاً يساومهما على تسليم حلب، ويعرض عليهما عوضاً عنها ما يختاران، فا عتقل الاخوان رسول الامبراطور (أرمانوس) (٢٠٩) أنتظاراً لما من جواب الامبراطور عن المراسلات لانهما كانا قد أرسلا وفداً برئاسة ابن عمهما مقلد بن كامل بن مرداس مع جماعة من آل الجراح (٢١٠) يؤكد تلبية ما يطلبه الامبراطور من مال وان يقدما الرهائن اثباتاً بصحة وفائهما، ولذا فان امبراطور البيزنطيين أرمانوس احتجز مقلد بن كامل بن مرداس رئيس وفد شبل الدولة .

ولم تخل المفاوضات السلمية من بعض المناوشات العسكرية على حدود الدولة المرداسية، حيث خرج قطبان الخادم المعروف بنقيطا البطريق بعد خسارة البيزنطيين في معركة قيبار (٢١١) غازياً في جيش كثير لتخريب الحصون والقلاع العربية على الحدود فقصد مدينة رفنيه (٢١٢) واستولى عليها وهدم أسوارها وأبراجها الستة لأهميتها الحربية، كما فتح حصن المنيقه(٢١٣) وسبى عشرة ألاف من أهلها، كما فتح حصون عربية اخرى وهدمها (٢١٤)، وتمت بعد ذلك وساطات ومفاوضات بين الطرفين لعقد هدنة، ونجحت وساطته في عقد هدنة بين أمبراطور البيزنطيين (٢١٥) وشبل الدولة على أن يقدم شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس في كل سنة الى امبراطور الروم خمسمائة ألف درهم في قسطين من السنة قيمتها ثمانية الاف مثقال ذهب(٢١٦) .

وبعد ان تم الاتفاق على شروط الهدنة اطلق امبراطور بيزنطة أرمانوس رسول شبل الدولة مقلد بن كامل بن مرداس وأعطاه صليباً من الذهب أماناً لنصر ووفاء بالشرط، كما أطلق شبل الدولة نصر المرداسي رسول أمبراطور بيزنطة(٢١٧).

وبالرغم من الانتصارات التي حققها شبل الدولة على البيزنطيين [٢١٨] فانه استمر في دفع الأموال سنوياً[٢١٩] وهي الاموال التي فرضها البيزنطيون عن حلب كما كانت منذ زمن الحمدانيين[٢٢٠]، وحاول الطرفان المحافظة على تلك الاوضاع.

وبهذا التصرف المعقول أصبح نصر بن صالح متمتعاً بامارته بحلب بضمان أستقرار جانب البيزنطيين .

ولم تستمر علاقة المرداسيين والدولة البيزنطية بشكل جيد ، فقد ساءت العلاقة فيما بينهم زمن محمود وذلك لأن محمود استعان با الأتراك في حروبه مع البيزنطيين[٢٢١]، فخربوا أنطاكية وفرضوا عليها غرامة سنوية مما دفع الروم أن يطلبوا المصالحة مع الأتراك أصحاب محمود المرداسي ولم يتوصلوا الى شيء، مما دفع البيزنطيين ان يقوموا بهجوم على منبج وامتلكوها[٢٢٢]، سنة (461هـ/1068م)، وبقيت منبج تحت حكم البيزنطيين ست سنوات الى ان أستعادها نصر بن محمود سنة(468هـ/ 1075م)[٢٢٣] كما هجم البيزنطيون على أعمال حلب وخربوها فلما علم محمود خرج اليهم ومعه العرب والترك وأستعاد أراضيه بعد أن قتل الكثير منهم ، وبعد ذلك وقعت الهدنة بين الطرفين [٢٢٤]ومن شروطها ان يقدم البيزنطيون قرضاً مالياً لمحمود مقداره أربعة ألف دينار ويجعل ولده نصراً رهناً عليها [٢٢٥]، ومن شروطها ان يهدم حصن أسفونا وتم له ما أراد وبقى إمبراطور البيزنطيين حاقداً على محمود المرداسي فجهز جيشاً كبيراً لاحتلال حلب والشام [٢٢٦] فتقابل هذا الجيش مع ألب أرسلان الذي غلبهم ووقع الإمبراطور أسيراً بين يديه [٢٢٧] ولما سأله عن سبب هذه الحروب وتعويض بلاده وجيشه لهذه الخسارة فذكر انه لم يقصد ألا حلب ، وكلما جرى له كان محمود السبب فيه والبعث اليه[٢٢٨].

أما بقية الأمراء المرداسيين فلم تكن بينهم وبين البيزنطيين صلات ، وذلك لانهيار الدولة وأنشغالهم بالفتن الداخلية .

الخاتمة

1- كان للقبائل العربية دور كبير في مواجهة الخطر البيزنطي والتصدي له لاسيما بعد ضعف الخلافة العباسية فامتلك الحمدانيون المبادرة في مجابهة البيزنطيين ونجحوا في حماية منطقة الجزيرة الفراتية وشمال الشام وشمال العراق من الخطر البيزنطي، وقاموا بدور جهادي في هذا الاتجاه وتبعهم في هذا الجهاد القبائل العربية الاخرى ومنهم المرداسيون والطائيون وبنو منقذ وبنو نمير .

٢ -يمكن أن نستنتج من العلاقات بين القبائل العربية والبيزنطيين، ان الغزوات كانت مستمرة الا انها لم تتمخض عن نتائج ذات قيمة كبيرة سواء كان للعرب أم للبيزنطيين، فقد ظل خط الحدود بينهما في أخذ ورد من دون ان يستطيع أحد الفريقين السيطرة التامة على معاقله ودروبه .

٣ -أن نجاح احدى الغارات أو غيرها كان متوقفاً على الأحوال الداخلية عند الفريقيين المتنازعين، ولقد ترددت أصداء هذه الحروب في النشاط البحري والبري، ومن المهم أن نلاحظ أن المنطقة التي كانت تجري فيها الحروب بين الطرفين في هذه الفترات محصورة في الثغور الإسلامية والأراضي البيزنطية، ولم يحدث أن هاجم البيزنطيون الأراضي الإسلامية الداخلية أو اجتازوا منطقة الثغور، وبالتالي فقد كانت خسائر البيزنطيين المادية أكثر من خسائر القبائل العربية.

4- أن العلاقات بين القبائل العربية والبيزنطيين، لم تكن علاقات عدائية دائماً، بل تخلل ذلك فترات سلمية تبادل فيها الطرفان الأسرى، وساهم البيزنطيون أحياناً في الحركة العمرانية الإسلامية، كما كانت التجارة نشطة بينهما.

الهوامش

(١) الثغر: كل موضع قريب من أرض العدو ، وهي تقع على تقاطع أو في مدخل الممرات الجبلية بالقرب من أرض المسلمين ، وتميز منها قسمان هما الثغور الجزرية والثغور الشامية. ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت380هـ/ 990م)، صورة الأرض ، ط 2، مطبعة بريل، ليدن، 1928م، ص190-191 ؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي (ت626هـ/1228م)، معجم البلدان، بيروت، 1956م ، ج2 ، ص80.

(٢) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت 310هـ/ 922م) تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، دار المعارف،القاهرة، 1966م ، ج10 ، ص147 ؛ ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر(ت 774هـ /1372م)، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملحم، بيروت، ١٩٨٧م، ج11، ص120 ؛ سليمان ، احمد عبد الكريم ، المسلمون والبيزنطيون في شرق البحر المتوسط فيما بين القرنيين الثالث والسادس الهجري / التاسع والثاني عشر الميلادي ، القاهرة ، 1987م ، ج1 ، ص70.

(٣) ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني(ت630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، ط ٣، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، ١٩٩٨م، ج8، ص169 .

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج8 ، ص235 .

(٥) السامر، فيصل، الدولة الحمدانية في الموصل وحلب، بغداد، 1970م، ج2، ص156.

(٦) حصن زياد: يقع في أرمينية ويعرف اليوم بفرتبرت بين آمد وملطية .البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن (ت 793هـ/ 1390م)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط 1، دار أحياء الكتب العربية، 1954م، ج1، ص407.

(٧) سليمان ، المسلمون، ج1 ، ص75 .

(٨) سليمان ، المسلمون، ج 1 ، ص81 ؛ السامر، الدولة الحمدانية ، ج 2 ، ص154-155.

(٩) سليمان ، المسلمون، ج1 ، ص81.

(١٠) ابن الأثير، الكامل ، ج 8، ص357 ؛ الأنطاكي، يحيى بن سعيد (ت458هـ /1066م)، تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا، حققه وصنع فهارسه عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس، لبنان، ١٩٩٠م ، ج7 ، ص 2 .

(*) أرزن: مدينة مشهورة من مدن أرمينية قديمة البناء، بينها وبين خلاط موضع يسمى جمن، به عين يفور الماء منها فوراناً شديداً، يسمع صوته من بعيد، فاذا دنا الحيوان منها يموت في الحال، وبها عين الفرات وهي عين مباركة مشهورة، زعموا ان من اغتسل بمائها في الربيع يأمن من أمراض السنة. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت 555هـ/ 1160م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت، ج1، ص202.

(١١) السامر، الدولة الحمدانية، ج 2، ص155-156؛ سليمان، المسلمون،ج 1، ص81-87.

(١٢) الهمداني، محمد بن عبد الملك (ت 521 هـ/1127م)، تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: البرت يوسف كنعان ،ط1 ، بيروت ، لبنان ، 1959م ، ص372 .

(١٣) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، مج 16، ص102 .

(١٤) أبو فراس ، ديوان أبي فراس ، تحقيق: سامي الدهان ، ج1، ص142 .

(١٥) سليمان، المسلمون، ج1، ص85.

(١٦) أختلف المؤرخون العرب في اسم ذلك الدرب، فذكر ابن العديم انه درب الجزرات، وذكر ابن ظافر انه يعرف بمقطعة الايفار، وذكر الإنطاكي انه يعرف بمقطع الايفار او الاظفار والمسمى بدرب الكيكرون بناحية الحدث، أما المتنبي وكان مرافقاً للحملة فذكر انه عقيه تعرف بمقطعة الاثفار. ابن العديم ، كمال الدين أبو القاسم عمر بن احمد بن هبة الله (ت 660هـ/1261م)، زبدة حلب في تاريخ حلب، تحقيق: سامي الدهان، دمشق، 1951م ، ج1، ص121 ؛ ابن ظافر، جمال الدين علي الاسدي، أخبار الدول المنقطعة، تحقيق: أندريه فريه، القاهرة، 1972م ، ص221 ؛ الأنطاكي ، تاريخ الأنطاكي ، ج1، ص112.

(١٧) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج1 ، ص121 .

(١٨) الذهبي، الحافظ شمس الدين محمد بن عثمان بن قايمار (ت 748هـ/1347م)، العبر في خبر من غبر ، تحقيق: صلاح الدين منجد ، الكويت ، 1963م، مج 16 ، ص114.

(*) رعبان: مدينة بالثغور بين حلب وسمياط قرب الفرات معدودة ضمن العواصم، وهي قلعة تحت جبل خربتها الزلزالة فأعاد سيف الدولة ابا فراس بن حمدان أعمارها في سبعة وثلاثين يوماً . ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص51.

(١٩) أبو فراس ، ديوان، ج1 ، ص139 .

(٢٠) ابن العديم ، زبدة ، ج1 ، ص122 .

(*) ثغر الحدث: وهو من الثغور المعروفة بالجزرية يقع على حدود الشام، بناه سيف الدولة بعد ان اسلموه اهلها الامان عن الروم ومنازلة ابن الفقاس اياه وهزمه لابن الفقاس. ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص59 .

(٢١) ابو فراس ، ديوان، ج1 ، ص145 .

(٢٢) الأنطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ج1 ، ص113 .

(٢٣) الانطاكي، تاريخ الانطاكي ، ج1، ص113-114 .

(٢٤) الانطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ج1، ص114 .

(٢٥) سليمان ، المسلمون ، ج1 ، ص145 .

(٢٦) الإنطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ج1 ، ص114 .

(٢٧) ابن العديم ، زبدة ، ج1 ، ص126-127 .

(٢٨) الأنطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ج1 ، ص114 .

(٢٩) الذهبي ، العبر ، ج2 ، ص266 .

(٣٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج6 ، ص351 .

(٣١) الأنطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ج1 ، ص114 .

(٣٢) الأنطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ج1 ، ص114 .

(٣٣) الأنطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ج1 ، ص114-115 .

(٣٤) الأنطاكي، تاريخ الانطاكي ، ج 1، ص116 ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب، ج 1، ص129

(٣٥) الأنطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ج1 ، ص116 .

(٣٦) ابن العديم ، زبدة ، ج1 ، ص129-130 .

(*) هنزيط: من الثغور الرومية. البكري، معجم ما استعجم، ج4، ص1355 .

(٣٧) ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة ، ص315 .

(٣٨) سليمان ، المسلمون ، ج1، ص153 .

(٣٩) سليمان ، المسلمون ، ج1، ص153 .

(٤٠) مسكويه، ابو علي احمد بن محمد (ت 421هـ/1030م)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: كسرويه حسن، ط 1 ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2002م ، ج6، ص190.

(٤١) ابن الجوزي، المنتظم ، ج7، ص7 .

(٤٢) الأنطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ج1، ص118 .

(٤٣) الأنطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ج1، ص118 .

(٤٤) قدر بعض المؤرخين المسلمين عدد جيش نقفور بمائتي ألف رجل . مسكويه ، تجارب الأمم ، ج 6، ص193 ؛ ابن الاثير ، الكامل، ج 7، ص3,2 ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب، ج1، ص133 .

(٤٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج7، ص7 .

(٤٦) ابن الاثير، الكامل، ج 7، ص7 ؛ مسكويه ، تجارب الأمم ، ج 6، ص198 ، 199 .

(٤٧) الانطاكي، تاريخ الانطاكي، ج 1، ص121، 122 ؛ ابن العديم، زبدة ، ج 1، ص141.

(٤٨) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص141 .

(٤٩) الانطاكي ، تاريخ ، ج1، ص122.

(٥٠) الهمداني ، تكملة ، ص402 .

(٥١) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج 6، ص202 ؛ الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ج 1، ص122.

(٥٢) مسكويه، تجارب الامم ، ج 6، ص202 ؛ الأنطاكي، تاريخ الانطاكي، ج 1، ص122.

(٥٣) الانطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ج 1، ص122-123 . وقدر بعض المؤرخين عدد الاسرى الذين سباهم نقفور من المصيصة بمائتي ألف. الهمداني ، تكملة، ص403 ؛ مسكويه، تجارب الامم، ج6، ص211 .

(٥٤) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، مج 16 ، ص132 .

(٥٥) ذكر ابن العديم أن وفداً خرجت من طرسوس الى مصر والعراق لطلب النجدة غير انهم لم يحصوا على المساعدة . ابن العديم ، بغية الطلب ، ج 2، ورقة 278-280.

(٥٦) (68) سليمان ، المسلمون ، ج 1، ص161. الانطاكي، تاريخ الانطاكي، ج 1، ص123 .

(٥٧) مسكويه ، تجارب الامم ، ج6، ص211 .

(٥٨) رستم ، أسد، الروم ، بيروت، 1955م، ج2، ص41 .

(*) رشيق النسيمي: هو والي انطاكية ملك حلب دون القلعة وكسر عسكر قرعويه الحاجب وحاصر القلعة فقتل وهو يحاصر القلعة، وعاد قرعويه ملك حلب وملك انطاكية دزبر فكسر قرعويه وانهزم الى حلب وتبعه دزبر فملك البلد وحصره بالقلعة وملكها وتسلمها منه، وسار اليه سيف الدولة وخرج اليه دزبر فلتقيا على نهر السبعين فانهزم دزبر واسره سيف الدولة ووزيره ابا علي الاهوازي. ابن العديم، زبدة الحلب، ج1، ص24 .

(٥٩) الذهبي ، تاريخ، مج 16، ص125 ؛ ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص148 .

(٦٠) الانطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ج1، ص126 .

(٦١) الأنطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ج1، ص126، 127 .

(٦٢) الأنطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ج1، ص127 .

(٦٣) وأدى بطنان: من ضواحي حلب على الطريق الى منبج . كنار، ماريوس ، نخب تاريخة وأدبية ، ص196، هامش رقم 3 .

(٦٤) كانت أنطاكية قد عادت إلى ولائها لسيف الدولة بعد مقتل رشيق النسيمي وخليفته ابن الاهوازى في الحرب ضد قرعويه حاجب سيف الدولة وقد عين سيف الدولة وغلامه تقي الدين والياً على أنطاكية. الأنطاكي، تاريخ، ج 1، ص123، 124-126 .

(٦٥) سليمان ، المسلمون ، ج1، ص164 ؛ الهمداني ، تكملة ، ص412 .

(٦٦) سليمان ، المسلمون ، ج1، ص164 .

(٦٧) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ/1405م) العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تعليق: تركي فرحان مصطفى، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان ١٩٩٩م ، ج4، ص527 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج11 ، ص271.

(٦٨) العيارين: تكتل ظهر من الطبقة العامة بزيادة الفوارق الطبقية، وسوء وضعهم المعاشي وانتشار الفوضى السياسية، وكان ظهورهم في أواخر القرن الثاني للهجرة، وكانوا في بداية أمرهم عصابات تقوم بنهب وسرقة بيوت الأغنياء ، وبعد زيادة عددهم أصبح لهم تنظيم خاص، فكانت لهم ألقاب منها المتقدم والامير ، وأصبحت لهم مراسيم خاصة عند قبول الاعضاء الجدد، وكان الفتي لايكذب ولايزني ويحافظ على النساء ويرفق بالضعفاء والفقراء. اليوزبكي، توفيق سلطان، الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية من (132-447هـ)، طبع جامعة الموصل، 1976م ، ص227-228 .

(٦٩) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج11 ، ص 271-272 .

(٧٠) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج11 ، ص 271-272 .

(٧١) الدمستق : منصب عسكري كبير عند البيزنطيين، وخاصة في القرن العاشر الميلادي، حيث كان الدمستق ينوب عن الامبراطور في القيادة العامة للجيوش ضد المسلمين . السامر، الدولة الحمدانية ، ج2 ، ص123 .

(٧٢) اليوزبكي ، الوزارة ، ص210-220 .

(٧٣) آمد: مدينة قديمة كانت تعرف باسم نيكرانوسيرت، وهي قصبة ديار بكر وتعرف اليوم باسم (ديار بكر) من الاراضي التركية، بنيت من الحجارة السوداء، تقع على نهر دجلة وتشكل في بنائها هلالاً حول دجلة، تكثر فيها العيون والينابيع والابار والبساتين، وتكثر فيعا الشعاب والوديان، ويشير أبن حوقل الى أهمية تحصيناتها في الدفاع عن المدينة بشكل عام. ابن حوقل ، صورة الأرض، ص201 ؛ ياقوت، معجم البلدان ، ج1، ص56-57 .

(٧٤) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص 211 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص326 ؛ ابن كثير، البداية، ج11، ص273 ؛ ابن خلدون، العبر، م4، ص528 .

(٧٥) مسكويه، تجارب الأمم، ج2، ص312 ؛ ابن الوردي، تاريخ، ج1، ص13 .

(٧٦) الرهاوي، تاريخ ، ج2، ص133 .

(٧٧) مسكويه، تجارب الأمم، ج2، ص312.

(٧٨) الدويهي، أسطفان، تاريخ الازمنة، تحقيق: الأباتي بطرس فهد، بيروت، 1976م، ص68.

(٧٩) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص 211 ؛ ابن الاثير، الكامل، ج 7، ص336 ؛ سبط ابن الجوزي، شمس الدين يوسف بن قزاوغلي التركي (ت654هـ / 1256م)،مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، عنى ببشره وراجعه وقابل أصوله

وعلق عليه:علي سويم، الجمعية التاريخية، أنقرة، ١٩٦٨م، ص177 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص273 .

(٨٠) ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص273.

(٨١) مسكويه، تجارب الأمم ، ج 2، ص312 ؛ ابن العبري، ابو الفرج غريغوديوس بن هارون الملطي (ت 685هـ/ 1286م)، تاريخ الدول السرياني ، تحقيق: إسحاق ارملة ، بحث منشور في مجلة المشرق سنة 1952م، ص67 ؛ الهمذاني، تكملة، ص 211 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص336 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص 177 ؛ أبو الفداء، تكملة، ج 1، ص453 ؛ ابن العبري، تاريخ، ص 169 ؛ ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت740هـ/ 1348م)، تاريخ ابن الوردي، النجف، 1960م، ج1، ص413 ؛ ابن خلدون، العبر، م4، ص528 .

(٨٢) الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ص211 .

(٨٣) سبط أبن الجوزي، مرآة ، ص177 .

(٨٤) الصابئ، المختار، ص72 .

(٨٥) سبط أبن الجوزي، مرآة، ص177 .

(86) Matthieu, d , Eessa in R.H.C. D. Arm, ,Vol.1, pp. 7–8 .

(٨٧) ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج1، ص56 .

(٨٨) مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص312 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص336 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ص177 .

(٨٩) مسكويه، تجارب الامم، ج 2، ص312 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص336 ؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 169 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص273 ؛ ابن خلدون، العبر، مج4، ص528 .

(٩٠) مسكويه، تجارب الأمم، ج 2، ص312 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص336 ؛ ابن خلدون، العبر، م4، ص528 ؛ الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص68 .

(91) Matthieu d, Edessa in R.H.C–D. Arm, Vol.1, p.8.

(92) Matthieu d, Edessa in R.H.C–D. Arm, Vol.1, p.8.

(٩٣) مسكويه، تجارب الامم، ج 2، ص312 ؛ الانطاكي، تاريخ، ص 149 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص273 ؛ ابن خلدون، العبر، م 4، ص528 ؛ الدويهي، تاريخ الازمنة، ص68 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص177 .

(94) Matthieu d, Edessa in R.H.C–D. Arm, Vol.1, p.8.

(٩٥) مسكويه، تجارب الامم، ج2، ص312 ؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص336 .

(٩٦) الصابئ، المختار، ص72–73 .

(*) ابن البلنطس: نائب الدمستق في قيادة الجيش. الصابئ، المختار، ص73.

(٩٧) البطريق: قائد عسكري روماني يتولى قيادة عشرة آلاف رجل، وعددهم في الامبراطورية البيزنطية اثنا عشر بطريقاً، ستة منهم تحت امرة الامبراطور، وستة يتم توزيعهم مع جندهم في كور الامبراطورية، ويعرف كبير البطارقة باسم الدمستق. الخوارزمي، ابو عبدالله محمد سبن احمد بن يوسف ، مفاتيح العلوم، تحقيق: نهى النجار، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1993م، ص158 ؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص320.

(٩٨) الزواورة: يقال هذا زوير القوم أي رئيسهم، والزوير زعيم القوم وآمرهم وبأيديه رجال لا هوادة بينهم يسوقون للموت. ابن منظور، لسان العرب، ج 4، ص333–338 ، ولعل الزواورة هم وجهاء الدولة البيزنطية وأسيادهم وأصحاب الرأي والمشورة الذين كانوا برفقة الدمستق .

(٩٩) الاراخنة: مفردها ارخن، وهو الشخص المسؤول في مجتمعه، وله مكانة ومركز سياسي واجتماعي وعلمي، ومع أنه لم يحصل على أي رتبة كنسية الا أن له دراية في الامور الكنسية واللاهوت والكتاب المقدس، لدرجة أن أهميته يمكن ان توصله الى مرتبة بطريرك ولكن من غير تتويج، ولذلك كان يعتمد عليه في تقديم المشورة والنصح لاصحاب الرتب العسكرية والدنية. مقالة في نادي الفكر العربي.

(١٠٠) الطراخنة: مفردها طرخان، الرجل الشريف ذو مكانة اجتماعية رفيعة بلغة أهل خرسان، ويأتي تحت أمرة البطريق ويتولى قيادة خمسة الاف رجل. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد (ت 711هـ / 1311م)، لسان العرب، تح : عبدالله علي الكبير واخرون ، مطبعة دار المعارف ، القاهرة ، د.ت، ج3، ص38 ؛ الخوارزمي ابو عبدالله محمد سبن احمد بن يوسف (ت 387هـ / 997م)، مفاتيح العلوم، تحقيق: نهى النجار، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1993م ، ص152-153 .

(١٠١) الصابئ، المختار، ص73 .

(١٠٢) الانطاكي ، تاريخ الانطاكي، ص151؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص330 .

(١٠٣) مسكويه، تجارب الامم، ج 2، ص312 ؛ الانطاكي، تاريخ الانطاكي، ص149 .

(١٠٤) الانطاكي، تاريخ الانطاكي، ص149 ؛ الصابئ، المختار، ص74 .

(١٠٥) الصابئ ، المختار، ص74 .

(١٠٦) الصابئ، المختار، ص74 .

(١٠٧) الصابئ، المختار، ص74 .

(١٠٨) ابن العبري، تاريخ الزمان، ص67 ؛ الهمذاني، تكملة، ص211 .

(١٠٩) الهمذاني، تكملة، ص211 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ص177 .

(١١٠) الصابئ، المختار، ص74 .

(١١١) مسكويه، تجارب الامم، ج2، ص314 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة ، ص177.

(112) Matthieu d, Edessa in R.H.C–D. Arm, Vol.p.1

(113) Matthieu d, Edessa in R.H.C–D. Arm, Vol.1, p.8

(114) Matthieu d, Edessa in R.H.C–D. Arm, Vol.1, p.8

(115) Matthieu d, Edessa in R.H.C–D. Arm, Vol.1, p.8

(116) Matthieu d, Edessa in R.H.C–D. Arm, Vol.1, p.8

(١١٧) مسكويه، تجارب الامم، ج 2، ص312–313 ؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص67 .

(١١٨) مسكويه، تجارب الامم، ج2، ص312 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ص 177 ؛ ابن العبري، تاريخ، ص67 .

(١١٩) مسكويه، تجارب الامم، ج 2، ص312 ؛ الهمذاني، تكملة، ص 211 ؛ ابن العبري، تاريخ، ص 67 ؛ ابن العبري، تاريخ، ص 169 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ص177 .

(١٢٠) الانطاكي ، تاريخ الانطاكي، ص 149 ؛ ابن العبري، تاريخ، ص 169 ؛ ابن الاثير، الكامل، ج 7، ص336 ؛ ابن خلدون، العبر، م 4، ص528 ؛ الدويهي، تاريخ، ص68.

(121) Matthieu d, Edessa in R.H.C–D. Arm, Vol.1, p.8

(122) Matthieu d, Edessa in R.H.C–D. Arm, Vol.1, p.8

(١٢٣) الأنطاكي ، تاريخ الانطاكي، ص148–149 .

(124) Matthieu d, Edessa in R.H.C–D. Arm, Vol.1, p.8

(125) Matthieu d, Edessa in R.H.C–D. Arm, Vol.1, p.8

(١٢٦) سليمان ، المسلمون، ج1، ص165 .

(١٢٧) ابن العديم ، زبدة، ج1، ص156-157 .

(١٢٨) كان الإمبراطور نقفور قد رفض سداد الجزية للملك البلغاري وفقاً لاتفاقية سنة 927م، اذ أن نقفور اعتبر الإمبراطورية في مرتبة أعلى بعد الانتصارات التي أحرزها على المسلمين في كريت وقبرص وقيليقيا، وقد أغرى نقفور الروس لمهاجمة البلغار من الخلف حتى تم القضاء على التهديد البلغاري.سليمان ، المسلمون، ج1، ص156.

(١٢٩) الأنطاكي ، تاريخ ، ج1، ص130-131 .

(١٣٠) الأنطاكي ، تاريخ، ج1، ص131 .

(١٣١) الأنطاكي ، تاريخ ، ج1 ، ص130-131 .

(١٣٢) الأنطاكي ، تاريخ، ج1، ص131 .

(١٣٣) سليمان ، المسلمون ، ج1 ، ص 166 .

(١٣٤) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص160-161 .

(١٣٥) الإنطاكي ، تاريخ ، ج1، ص133-134 .

(١٣٦) ابن العديم ، زبدة ، ج1 ، ص162 .

(١٣٧) ابن الاثير ، الكامل ، ج7 ، ص36-37 .

(١٣٨) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص163 .

(١٣٩) الانطاكي ، تاريخ ، ج1 ، ص134 .

(١٤٠) البلاد الداخلة في هذه الهدنة بالإضافة الى حلب هي: حمص، جوسيه، سلمية، حماه، شيزر، كفر طاب، أفامية، معرة النعمان، جبل السماق، معرة مصرين، قنسرين، الاثارب، ارحاب، باسوفان، كيمار، برصايا، المرج الذي

هو قريب من اعزار، ويميل حد البلاد إلى الشرق حتى تل حامد والى يمين الساجور الى أن يختلط بالفرات. ابن العديم، زبدة، ج1 ، ص163-165 .

(١٤١) ابن العديم ، زبدة، ج1 ، ص163-169 .

(١٤٢) سليمان ، المسلمون ، ج1 ، ص168 .

(١٤٣) ابن العديم ، زبدة ، ج1 ، ص169 .

(١٤٤) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص87-90 .

(١٤٥) الهمداني ، تكملة ، ص420 .

(١٤٦) ابن القلانسي، ابو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد القيم (ت555هـ /1160م)، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق:سهيل زكار، ط ١، دار حسان، دمشق، ١٩٨٣م ،ذيل، ص27.

(١٤٧) ابن ألقلانسي ، ذيل، ص27-28 .

(١٤٨) الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي ، ج1، ص157 .

(*) باب اليهود: سمي بذلك لان محال اليهود من داخله، ومقابرهم من خارجه، وهذا الباب غيره السلطان الملك الظاهر رحمه الله، وكان عليه بابان، ويخرج منهما الى باشورة يخرج منها إلى ظاهر المدينة، فهدمه وجعل عليه أربعة ابواب كل بابين بدركاة على حدة، يسلك من احدى الدركاتين الى الاخرى في قبو عظيم محكم البناء، وجعل عليه ابراجاً عالية محكمة البناء، وسمي الباب بباب النصر. ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص6 .

(١٤٩) الأنطاكي، تاريخ الإنطاكي، ج 1، ص163؛ ابن العديم، زبدة، ج 1، ص173-174.

(١٥٠) الإنطاكي، تاريخ الانطاكي ، ج1، ص163 ؛ ابن ألقلانسي ، ذيل، ص 28-29 .

(١٥١) الإنطاكي، تاريخ الانطاكي ، ج1 ، ص164 .

(١٥٢) ابن ألقلانسي، ذيل، ص29.

(١٥٣) ابن القلانسي، ذيل، ص29 .

(١٥٤) ابن القلانسي، ذيل، ص29 ؛ ابن ظافر، أخبار، ورقة 18.

(١٥٥) الروذراوي ، أبو شجاع محمد بن الحسين (ت 488هـ/1095م)، ذيل كتاب تجارب الأمم ، تصحيح: آمدروز ، القاهرة ، 1916م، ص210

(١٥٦) ابن القلانسي ، ذيل، ص 33-34 ؛ ابن العديم ، زبدة ، ج 1، ص185-186 .

(١٥٧) الانطاكي، تاريخ الانطاكي ، ج1، ص175 .

(١٥٨) الانطاكي، تاريخ الانطاكي ، ج1 ، ص209-210 .

(١٥٩) الانطاكي، تاريخ الانطاكي ، ج1، ص211-215 ، ج2، ص245-248 .

(*) الاقحوانة: وهي معركة حدثت على نهر الاردن بين التحالف العربي المكون من الكلبيين والطائيين والكلابيين وبين الفاطميين سنة 420هـ/1029مك بقيادة انوشتكين الدزيرى، انتصر فيها انوشتكين على صالح وحلفائه فقتل صالح وابنه الاصغر ونجا ولده الاكبر شبل الدولة، فدخل الدزيرى الى دمشق واحتل فلسطين وهرب حسان بن المكفرج الطائي الى البيزنطيين. ابن الاثير، الكامل، ج 09، ص231 ؛ أمينة البيطار، موقف امراء العرب في الشام والعراق من الفاطميين حتى أواخر القرن الخامس الهجري، دمشق، 1980م، ص258 .

(١٦٠) ابن الاثير ، الكامل، ج9، ص231 .

(١٦١) ابن العديم، زبدة، ج 1، ص237 ، قيبار: حصن بين أنطاكية والثغور وهو حصن منيع ومشهور. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4، ص211 .

(١٦٢) قطبان : حاكم مقاطعة . ابن العديم ، زبدة، ج1، ص237 .

(١٦٣) ابن العديم، زبدة ، ج1، ص237 .

(*) قيبار: حصن تابع لحلب بين أنطاكية والثغور وهو حصن منيع ومشهور. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص211 .

(١٦٤) ابن العديم، زبدة ، ج1، ص237 .

(١٦٥) ابن القلانسي، ذيل، ص75.

(١٦٦) ابن العديم، زبدة ، ج1، ص237 .

(١٦٧) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص237 .

(١٦٨) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص238 .

(١٦٩) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص238 .

(١٧٠) ابن العديم ، زبدة، ج1، ص238 .

(١٧١) ابن العديم، زبدة ، ج1، ص238 .

(١٧٢) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص238 .

(١٧٣) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص238 .

(١٧٤) ابن العديم ، زبدة، ج1، ص278 .

(١٧٥) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص238 .

(١٧٦) حي الجلوم: حي مشهور ما يزال يعرف بهذا الاسم في حلب، وهو يقع في القسم الغربي من حلب في جنوب باب أنطاكية. ابن العديم، زبدة ، ج 1، ص238.

(١٧٧) ابن العديم ، زبدة، ج1، ص238 .

(١٧٨) وكان قبله باسيل الذي هلك في سنة 415هـ/1024م ، وتولى بعده أرمانوس . ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص238-239 .

(١٧٩) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص239 .

(١٨٠) ابن العديم، زبدة ، ج1، ص239 .

(١٨١) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص239 .

(١٨٢) تزوج البطريق (أرمانوس) أو (رومانوس) من احدى بنات قسطنطين، والغالب هي ((تدورا)) التي كانت لها صلاتها مع ثمال بن صالح بن مرداس ثالث أمراء الدولة المرداسية. ابن العديم، زبدة، ج1، ص239 .

(١٨٣) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص239 .

(١٨٤) ابن العديم ، زبدة، ج1، ص239 ؛ ابن القلانسي، ذيل، ص75 حاشية ؛ ابن الاثير، الكامل، ج9، ص231 .

(١٨٥) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص240 .

(١٨٦) الابخاز: قوم من أرمينية ولهم مدينة بأسمهم . ابن العديم زبدة، ج 1، ص240؛ الاصطخري، أبو اسحق ابراهيم بن محمد (ت 346هـ/ 957م)، المسالك والممالك ، تحقيق: محمد جابر عبد العان، القاهرة، 1061م، ص191 .

(١٨٧) الخزر: اسم لهذا الجنس من الناس، وأما المدينة تسمى اتل سميت بأسم النهر الذي يجري اليها الى بحر الخزر. الاصطخري،المسالك ، ص191 .

(١٨٨) واهم طائفة من الاتراك انقطعوا عن بلادهم فصاروا فيما بين الخوز والروم، يقال لهم البجناكية . الاصطخري، المسالك، ص 10 ؛ ابن العديم، زبدة، ج 1، ص240 .

(١٨٩) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص240 .

(*) جبل برصايا: هو هضبة في الشمال الغربي تشرف على عزاز تابعة لها في موضع بعيد عن الماء. ابن العديم، زبدة ، ج1، ص240 .

(١٩٠) ابن العديم، زبدة، ج1، ص240 .

(١٩١) ابن العديم، زبدة ، ج1، ص241 .

(١٩٢) يحيى بن سعيد ، تاريخ، ص250 ؛ ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص241.

(١٩٣) ابن العديم، زبدة ، ج1، ص241 .

(١٩٤) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص241 .

(١٩٥) ابن العديم، زبدة، ج1، ص242 ؛ ابن الاثير، الكامل ، ج9، ص404 .

(١٩٦) ابن الاثير، الكامل، ج 9، ص404 ؛ ابن العديم، زبدة، ج 1، ص241 ؛ ابن القلانسي، ذيل، ص75 حاشية .

(١٩٧) ابن العديم، زبدة ، ج1، ص241 .

(١٩٨) ابن العديم، زبدة ، ج1، ص242 ؛ ابن الاثير، الكامل، ج9، ص405.

(١٩٩) ابن الاثير ، الكامل، ج9، ص404 .

(٢٠٠) ابن العديم، زبدة، ج1، ص242 ؛ ابن الاثير، الكامل، ج9، ص405 .

(٢٠١) ابن العديم ، زبدة، ج1، ص243 .

(٢٠٢) ابن العديم، زبدة ، ج1، ص242 ؛ ابن الاثير ، الكامل، ج9، ص404 .

(٢٠٣) المقثأة : موضع القثاء وهو نوع من الفاكهة يشبه الخيار، حاشية ابن العديم، زبدة، ج1، ص241 .

(٢٠٤) ابن العديم، زبدة ، ج1، ص241 .

(٢٠٥) المنجنيق: آلة حربية تستعمل لرمي الحجر والنيران على الأعداء وهي يونانية.

(٢٠٦) العردات: الة حربية تستعمل لرمي الحجارة .

(٢٠٧) التراس: جمع ترس وهي صفيحة من الفولاذ تحمل للوقاية من السيف .

(٢٠٨) ابن العديم، زبدة، ج1، ص243 .

(٢٠٩) احتجز شبل الدولة نصر رسول امبراطور بيزنطة لضمان عودة رسول شبل الدولة أرمانوس ومعرفة رأيه في الهدنة وحسن الجوار. يحيى بن سعيد ، تاريخ، ص254 .

(٢١٠) ابن العديم، زبدة، ج1، ص245 .

(٢١١) قيبار: حصن تابع لحلب بين أنطاكية والثغور وهو حصن منيع مشهور . ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج4، ص211 .

(٢١٢) رفنيه: مدينة أسلامية كثيرة الخيرات يتمون منها أهل الحصون الاسلامية الحبوب ليتقون بها على قتال الروم، فقصدها قطبان أنطاكية ليمنع الجيوش الاسلامية من التمون من هذه المدينة، فهجم على المدينة وفتح أبراجها ثم هدمها وعددها ستة أبراج وسكانها يزيد عن عشرة الآف إنسان من المسلمين . يحيى بن سعيد، تاريخ ، ص257 .

(٢١٣) المنيقة: حصن قوي يحتمي به المسلمون عند هجوم الروم. ابن العديم، زبدة، ج1، ص246 .

(٢١٤) يحيى بن سعيد ، تاريخ، ص260 .

(٢١٥) ابن العديم ، زبدة ، ج1، ص247 .

(٢١٦) ابن العديم، زبدة ، ج1، ص247 .

(٢١٧) ابن العديم ، زبدة، ج1، ص247 .

(٢١٨) ابن الاثير ، الكامل، ج9، ص404 .

(٢١٩) ابن العديم ، زبدة، ج1، ص247 .

(٢٢٠) ابن العديم ، زبدة، ج1، ص164 .

(٢٢١) ابن القلانسي ، ذيل، ص106 ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج10 ، ص60 ؛ ابن العديم ، زبدة ، ج2 ، ص14 .

(٢٢٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج10 ، ص60 .

(٢٢٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج10 ، ص100 .

(٢٢٤) ابن العديم ، زبدة ، ج2 ، ص15 .

(٢٢٥) ابن العديم ، زبدة ، ج2 ، ص15.

(٢٢٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج10، ص65 .

(٢٢٧) ابن الاثير ، الكامل ، ج10 ، ص66 .

(٢٢٨) ابن العديم ، زبدة ، ج2 ، ص29 .